Social Relations and the Question of Psycho-Educational Integration

Dr. Miloud SAIDI

Faculty of Letters and Humanities, Hassan II University, Casablanca, Morocco

Science Step Journal / Education & Social Sciences

June 2023/Volume 1- Issue 1

DOI: 10.6084/m9.figshare.23546217

Link: https://sciencestepjournal.com/?p=1865

To cite this article: SAIDI, M. (2023, June). Social Relationships and the Question of Psycho-Educational Integration. Science Step Journal, 1(1), 56-81.

Abstract

In this article, we focus on the question of social relationships and the issue of educational integration in the context of social interaction. in order to try to understand its transformational and evolutionary process, in order to reveal the social psycho-cognitive mechanisms that control emotional and socio-educational relations.

As well as different aspects of interaction and their results (fusion, compatibility, merger or conflict and dissonance), which is frequently related, as a general hypothesis, to a set of cognitive and psychological determinants.

The need for the other is an inevitable psycho-ontological and social instinct. Hence, this problem must be explained scientifically in the light of social psychology in order to enrich academic knowledge. that can avoid cultural and representative ambiguity about the relationship among individuals, and a deeper understanding of the various psychological and social mechanisms knowledge that is related in one way or another to the problem of integration.

Keywords

Social Relations - Psycho-Educational relations– Interaction - Integration

العلاقات الاجتماعية وإشكالية الاندماج السيكولوجي والتربوي

د. الميلود السعيدي[1]

استاذ باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، جامعة الحسن II
الدار البيضاء، المغرب

ملخص

نتناول في هذا المقال موضوع العلاقات الاجتماعية ومجمل الإشكالات الاندماجية والتربوية التي تطرحها في سياق التفاعل الاجتماعي، وذلك باعتبار العلاقات الاجتماعية والعلاقة مع الآخر عموما هي من أهم الإشكالات التي أصبح على النفس الاجتماعي يهتم بها ويدرسها من أجل فهم سياقها التحولي، والتطوري ومن أجل الكشف عن طبيعة الآليات السيكو معرفية الاجتماعية التي تشتغل أثناء دخول الأفراد في علاقات وجدانية واجتماعية وتربوية فيما بينهم.

ولعل الهدف من هذه الدراسة (المقالة)، هو محاولة تسليط الضوء على موضوع العلاقات الاجتماعية وما يرتبط فيها مشكلات الاندماج والتوافق والانصهار أو الصراع والتنافر والذي غالبا ما يرتبط، كافتراض عام، بمجموعة من المحددات المعرفية والسيكولوجية التي لا يعيها الأفراد المتعاملين اجتماعيا، ومما لا شك فيه أن الحاجة إلى الآخر، هي عزيزة سيكو-انطلوجية اجتماعية حتمية لا مفر منها، وبالتالي فإن هذه الإشكالية تحتاج إلى أن نفهمها علميا من منظور علم النفس الاجتماعي وذلك من أجل مراكمة المعرفة الأكاديمية حول هذه الاشكالية (على قلتها وندرتها)، مما قد يسمح بإزاحة الستار عن الغموض الثقافي والتمثلي حول العلاقة بين الأفراد، وتمكين الفاعلين الاجتماعيين والتربويين بالوعي العلمي حول الآليات النفسية الاجتماعية المعرفية التي تشتغل بشكل خفي حينما يدخل الأفراد في علاقات الاندماج بينهم.

الكلمات المفتاحية

العلاقات الاجتماعية - العلاقات النفسية التربوية - التفاعل - الاندماج

[1] Miloudsaidi49@gmail.com

مقاربة سيكو اجتماعية معرفية

مدخل إلى موضوع الإشكالية

تعتبر العلاقات الاجتماعية من الموضوعات الهامة التي يهتم بها علم النفس الاجتماعي ، وعلم الاجتماع، فقد أفرد لها علم النفس الاجتماعي على الخصوص دراسات نظرية وميدانية سواء داخل المؤسسات الاجتماعية أو داخل الجماعات بصفة عامة، ولعل الحديث عن العلاقات الاجتماعية، هو حديث عن موضوع علمي معقد وشاسع، من حيث أنه يحيل ويدل على مجمل الروابط التفاعلات والاتصالات السلوكية والتربوية والوجدانية والثقافية، التي يقوم بها الأفراد ويلتزمون بها في علاقاتهم الاجتماعية، لذلك فإن مفهوم العلاقات الاجتماعية كمنطلق منهجي محدد يحمل في عمقه أبعادا نفسية وأبعادا اجتماعية في نفس الوقت وذلك من حيث أن العلاقات الاجتماعية، هي عبارة عن فضاء مشترك يضم أفعال وحاجات وأشياء معينة تتم بين مجموعة من الأفراد يتعارفون فيما بينهم أو هم يعرفون بعضهم البعض نتيجة تفاعل سابق، وفي نفس الوقت يحتفظ كل فرد متفاعل في هذه العلاقة بخصوصيته الذاتية والنفسية كفرد متميز يمتلك مزاجه النفسي الخاص، وتكوين سيكولوجي خا ، وشخصية خاص، إلخ. لذلك يمكن القول أن العلاقة الاجتماعية هي نوع من **المصاهرة الإنجذابية** (**l'affinité**) (**1**) التي يهدف كل فرد من خلالها إلى إقامة روابط اجتماعية ترتكز على الولاء العاطفي والتقارب الوجداني المتسم بالتآزر والمودة والتضامن والتآزر في مواجهة الصعاب والتعاون والتعاضد في حل المشكلات العامة التي يواجهها الأفراد الداخلين في علاقات اجتماعية فيما بينهم.

وقد ارتأينا أن تكون دراستنا لهذا الموضوع في هذه المقالة دراسة جدلية استكشافية، بقدر ما نقدم فيها آراء مجموعة من الباحثين والمنظرين في هذا الموضوع، نطرح أيضا أراءنا الأكاديمية حول هذه الإشكالية، هادفين بذلك في هذا السياق إلى محاولة الكشف عن مجمل الآليات السيكو-اجتماعية والمعرفية التي تشتغل سيكولوجيا ومعرفيا أثناء اندماج الأفراد فيما بينهم ودخولهم في علاقات اجتماعية . وذلك على ضوء مقاربة سيكو-اجتماعية معرفية متعددة الأبعاد، نعرضها انطلاقا من المحاور التالية:

أولا محور حول مفهومي العلاقة الاجتماعية والعلاقة الإنسانية، **ثانيا** محور حول عملية اندماج الأفراد من الناحية السيكو-اجتماعية ، **ثالثا** محور حول الأبعاد التفاعلية، الاندماجية، التربوية والمعرفية في مجال العلاقات الاجتماعية، **رابعا** محور حول العملية الاندماجية وسياقها التنشئوي والبيئي في بروز الشخصية والهوية وبناء العلاقات الاجتماعية.

المحورالأول : مفهوم العلاقة الاجتماعية ومفهوم العلاقة الإنسانية

يعني بالعلاقات الإنسانية عموما وكما توضح ذلك **نظرية العلاقات الإنسانية (2)**، التفاعلات والتواصلات التي تتم بشكل تلقائي في كل الفضاءات والمجالات المجتمعية العامة، والتي تحمل طابع التقارب المؤقت بفعل تقاسم أدوار أو مصالح أو مهام معينة تفترض الالتزام بروتوكولات وطرائق وأساليب معينة في المعاملة بين الأفراد الفاعلين ضمن مجال مهني أو مؤسساتي معين بأبعاد إنسانية عامة

على أساس الأخلاق والآداب وحسن التصرف إلخ، أي التعامل مع الآخر بشكل يراعي أبعاده الإنسانية دون ربط علاقة اجتماعية معينة.

وهذا معناه أن العلاقة الإنسانية تسبق العلاقة الاجتماعية، إذ تحمل معنى واسعا في حين أن العلاقة الاجتماعية تخضع إلى إرادة الاختيار أي أنها عملية اختيارية أكثر مما هي عملية عشوائية وتلقائية، فنحن نختار الأفراد الذي نريد أن نقيم معهم علاقات اجتماعية ونبعد الأفراد الذين لا نريد أن تقاسم معهم أشياء حميمية ونتقارب إليهم . لذلك فمفهوم العلاقة الإنسانية ليس هو مفهوم العلاقة الاجتماعية: **مفهوم العلاقة الاجتماعية هو حقل اجتماعي علائقي ضيق يتميز بطابعه الانتقائي والاختياري، في حين مفهوم العلاقة الإنسانية هو مفهوم واسع وشامل** يعني به على العموم الوعي والشعور الإنساني الذي ينتاب الفرد حين يتفاعل ويتواصل مع الأفراد في مناسبات ومواقف ومجالات متعددة ويتقاسم معهم أعمالا أو أهدافا أو مصالح معينة ضمن مجال اقتصادي أو اجتماعي معين، دون أن يشترك معهم ما هو نفسي وجداني أو ما هو حميمي. فالعلاقات الإنسانية هي عكس العلاقات الاجتماعية تتسم بطابعها التلقائي والعشوائي، إذ أن الأفراد يشعرون إزائها بروابطهم الإنسانية ككائنات بشرية تنتمي إلى مجتمع بشري واحد ومعنى ذلك أن العلاقة الإنسانية تسبق بكثير العلاقة الاجتماعية، وتعتبر من العوامل الأساسية التي تمهد الطريق المؤدي إلى العلاقة الاجتماعية. إن العلاقة الاجتماعية لا تتكون إذن ، بغير ممهدات أولية، بل هي نتائج عوامل نفسية اجتماعية متعددة ، فحينما يلتقيان فردان أو عدة أشخاص لأول مرة دون أن يعرفان بعضهما البعض، يتفاعلان أولا في إطار علاقة إنسانية، بشكل حذر، مما يدفعهم إلى عدم الكشف عن هوياتهم الاجتماعية وهوياتهم الشخصية بشكل مسرع، أي أن الكل يحاول ألا ينجذب بسرعة حتى يأتمن الآخر وجدانيا بحيث يحاول الفرد في هذه الحالة ترصد عاطفة الآخر وانتظاراته، ومعرفة أهدافه ، الشيء الذي يجعل هذه العلاقة التفاعلية بين الأفراد يشوبها الغموض والاحتياط والحذر، وقد يتطور هذا التفاعل إلى علاقة اجتماعية بشكل تدريجي وقد تتوقف في حدود العلاقة الإنسانية أو النفور من الآخر، **فكيف تتكون إذن (في هذا السياق) العلاقات الاجتماعية ؟**

إن الميل إلى العلاقة الاجتماعية ترتبط بدوافع الحاجة إلى الآخر (أو الآخرين)، بمعنى أن هناك دوافع نفسية تدفع الفرد أو الأفراد إلى الانفتاح على الآخرين وربط علاقات معهم من أجل تلبية حاجاته المادية والنفسية، إذ إن الحاجة إلى الآخر، أمر حتمي تجد جذورها الأولى في الطفولة ، فالطفل عند ولادته يشعر بغريزة وفطرة الحاجة إلى أمه من أجل إشباع حاجاته البيولوجية والذاتية، ومعنى ذلك أن حاجة الطفل إلى أمه لا تحددها فقط الدوافع البيولوجية، بل تحددها أيضا الدوافع الذاتية والنفسية (الحاجة إلى الحنان، والعاطفة، والأمن ... إلخ) ، بحيث أن الطفل لا يمكنه أن ينمو بمعزل عن علاقته **بالآخرين ولعل العلاقة الوجدانية مع الأم هي أول تجربة علائقية مع الآخر** التي يكتسبها الطفل، فهي المعيار الأول عند **ملاين كلاين** (كما هو معروف) التي تجعل الطفل ينجح أو يفشل في علاقته مع الآخر (بشكل عام). لذلك فإن الوعي السوي بالعلاقة مع الآخرين تحسم في مرحلة أوديب، ومرحلة أوديب عند فرويد (كما هو معروف) تعتبر من المراحل السيكولوجية المهمة والمؤثرة التي تحتفظ بآثارها سواء السلبية أو الإيجابية لاحقا على النمو الشخصي والاجتماعي للفرد.

إن علم النفس الاجتماعي، حينما يتخذ العلاقات الاجتماعية كموضوع سيكواجتماعي للدراسة فإن ذلك يعود إلى كون الفرد لا يكتسب الأنا الفردية أو الوعي بذاته بمعزل عن علاقته الجدلية مع الآخر، ذلك، أن **الأنا الفردية الذاتية**، ليست أنا صرفة أو محايدة أو منعزلة (**moi isolé**) أو (فقط) مكون نفسي جدلي أو صراعي يبنى داخل الذات، كما هو متصور في نظريات التحليل النفسي منذ فرويد، بل (**هي بالإضافة إلى ذلك**) **حصيلة تكوين تفاعلي (جدلي) بين الوعي الذاتي والوعي بالآخرين**. ينتج عنه بروز الأنا (**كوعي سيكووجودي**) والوعي بالآخرين **كأنوات أو ذوات مغايرة**، متفاعلة، لذلك فإن الآليات السيكواجتماعية بكل أبعادها المعرفية والنفسية والسيكولوجية والثقافية والاجتماعية هي آليات تترابط جدليا وبالضرورة باعتبارها ميكانزمات وأنساق سببية مؤثرة على السلوكات الفردية والاجتماعية، تختلف كثيرا عن الميكانزمات السيكولوجية والمعرفية الذاتية التي تشتغل داخل الفرد. بمعنى آخر أن الآليات النفسية والمعرفية التي تشتغل خارج النظام السيكولوجي للفرد تشتغل بطرق وأساليب وآليات أخرى، حينما يتفاعل الفرد مع الآخرين وينفتح عليهم ويندمج معهم داخل علاقات اجتماعية أو داخل جماعات أو مجموعات معينة الخ.

المحور الثاني : إندماج الأفراد بين العمليات السيكواجتماعية والاستراتيجيات التفاعلية

معنى الاندماج .

إن الاندماج هو عملية تكيفية يقوم بها الفرد حينما يحاول الدخول في علاقات معينة مع مجموعة من الأفراد، ويعتبر هذا المفهوم من أهم المفاهيم التي يوظفها علم النفس الاجتماعي في دراسته للمجموعات الأقلية (les minorités) داخل المجتمع الكبير، حيث تبرز مشكلات اندماج الأفراد المنتمون إلى ثقافات أخرى في المجتمع الكبير، وذلك سواء من الناحية الثقافية أو السياسية أو السيكواجتماعية..

2-1 كيفية الإندماج السيكولوجي للفرد :

إن الفرد بناء على ما سبق يندمج داخل الجماعات والمجموعات كعلاقات اجتماعية وإنسانية بواسطة عمليتين أساسيتين: العملية الأولى، **هي العملية السيكولوجية الفردية والعملية الثانية هي العملية الاجتماعية**، والسؤال المطروح هنا : كيف تشتغل هاتين العمليتين بشكل جدلي ومتداخل؟

تعتبر الجماعة بالنسبة للفرد بمثابة الأفق الامتدادي لنمو وتطوره الذي يسمح له بتحقيق ذاته وتقديرها (**l'estime de soi**) بمعنى آخر ، إن الجماعة هي الحقل الامتدادي الذي ينمو فيه الفرد. وهي في نفس الوقت حسب **كورت لفين K.Lewin** مجال تجاذبي حيث تتصارع القوى الجاذبة "**(3)** وهذا يعني أن الفرد لا يمكنه أن يعرف" وزنه التجاذبي " وقيمته (**la valeur**) كفرد دون أن يندمج داخل العلاقات الاجتماعية داخل الجماعات . إن قوة الفرد على جذب الآخرين إليه ترتبط بمدى قدرته الذاتية على إقامة علاقات اجتماعية، وعلى مدى تمكنه من النجاح في هذه العلاقات وربط الصلات ودعمها بناء على مؤهلاته التكيفية ومبادراته الاندماجية داخل العلاقات الاجتماعية بصفة عامة. **ذلك أن الفرد بمفرده لا يمكن أن يعرف قدره وأن يقيم ذاته ويتسع وعيه بذاته دون اندماجه داخل جماعات أو مجموعات معين**، ودون تواصله مع الآخرين، غير أن عملية الاندماج الفردي بالرغم من أنها

ترتكز على ميولات وحافزية الفرد في قبول الاندماج ، فإن العمليات الاجتماعية لا تشتغل بمعزل عن هذه العملية، بل أننا لا يمكن أن نتصور من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي، أي انفصال بين العملية الفردية والعملية الاجتماعية، فإذا كان الآخرون يمثلون الحقل التفاعلي للمغايرة (أو المختلف) بالنسبة لكل فرد، فمعنى ذلك أن الفرد لا يمكنه أن يحيا ويتطور وينمو بدون تفاعله الضروري مع الآخرين، بل إن الفرد لا تشتغل حافزيته وميولاته وكل آليات وإمكانياته النفسية والمعرفية بغير تفاعله مع الآخرين والوعي بالحقل التجاذبي الذي ينجذب إليه الفرد بالضرورة، والذي في سياقه يوظف مؤهلاته وآلياته السيكو معرفية ويسعى إلى التميز في هذا الحقل عن الآخرين وتأكيد ذاته **(l'affirmation de soi)**، **بحيث أن الفرد ينجذب إلى الآخرين لأن هناك ما يدفعه داخل ذاته صوب الآخرين: رغباته في الاندماج الاجتماعي ، نزوعه إلى اختبار مؤهلاته وتقويم ذاته، وضمان تقديره لذاته وإشباع حاجاته المادية وتحقيق أهدافه إلخ، بمعنى أن دو افع الفرد نحو الآخرين هي دو افع متعددة يتداخل فيها العامل السيكولوجي بالعامل الاجتماعي بكيفية متداخلة بكل أبعادهما الرمزية**، والعلاقة الاجتماعية هي في العمق بنية ونسق مصغر يندرج ضمنه النسق الاجتماعي العام الذي يؤطر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد داخل الجماعات ومختلف المؤسسات الاجتماعية والتنظيمات المهنية والإدارية، بحيث أن هذا النسق العام هو الذي يمد العلاقات الاجتماعية بمقومات الروابط العاطفية لضمان الصداقات والمعاملات الإيجابية بين الأفراد، وذلك لأن العلاقة الاجتماعية باعتبارها بنية مصغرة داخل المجتمع ككل، فهي تخضع إلى قيم ومعايير المجتمع الكبير، لذلك فإن المعايير والقيم تلعب أيضا دورا مؤثرا داخل العلاقات الاجتماعية. إذ أن هناك ضوابط سلوكية يلتزم بها الأفراد في مجال إبرام العلاقات بينهم بحيث تحتكم إلى نظام علي أو سببي (**système de causalité**) من حيث كيفية بناء هذه العلاقات وكيفية اشتغالها السيكومعرفي اجتماعي.

ولعلنا حينما نتأمل واقع العلاقات بين الأفرا ، نكتشف أن هناك آليات سيكواجتماعية متعددة ومنطق اجتماعي معين في رأي **رمون بودون R.Boudon** يسود مجمل التفاعلات بين الأفراد ، **(4)** وهناك أيضا محددات وآليات تفاعلية منطقية، تشتغل بكيفية موضوعية مستقلة عن أرادتنا، لا يختلف كثيرا عن المنطق الرياضي .. وهذا ما معناه أننا نحن في حاجة إلى **تعلم قوانين المنطق الاجتماعي*** في المجال التربوي كما نتعلم قوانين السير وتعلم الرياضيات..الخ. ذلك أن العلاقات مع الآخرين عموما تحتكم إلى أشكال متعددة من المنطق الاجتماعي الذي يلازم استراتيجيات الأفراد في مجال إبرامهم للعلاقات الاجتماعية، فكل علاقة اجتماعية تبنى على أساس وجود مبادلات تفاعلية بين الأفراد الذين تجمع بينهم هذه العلاقة، فليست هناك علاقة اجتماعية لا ترتبط بمنطق داخلي تستمد منه معناها الوجودي **(la raison d'être)**، فالعلاقة بين صديق وصديق آخر مثلا، تفترض منطق اقتسام المجال الحميمي المشترك الذي لا يشترك فيه الآخرون، وإلا ما معنى الصداقة هنا ! إن الفاعلين الاجتماعيين حسب **رمون بودون Boudon** يتصرفون بمنطق اجتماعي في تفاعلاتهم الاجتماعية، سواء من حيث تواصلهم أو تجاذباتهم وميولاتهم إلى بعضهم البعض، أو من حيث توقعاتهم لردود الأفعال فيما بينهم.

يتجلى البعد المنطقي في مجال استراتيجيات كل فرد في تفاعلاته مع الآخرين ومختلف المواقف الاجتماعية، فالفرد يسعى باستمرار إلى محاولة إدراك المنطق الداخلي للأحداث التي يواجهها سواء بشكل انفرادي أو بشكل جماعي كما هو الأمر مثلا في حالات

الأزمات الاقتصادية داخل الأسرة التي ينتمي إليها، أو مشاكل السكن، والمعيشة .. إلخ، ففي هذه الحالة يسلك الفرد بطريقة حذرة ويحاول أن يلتزم بالسلوك المنطقي إزاء قرار يخصه يمكن أن يترتب عنه تداعيات ونتائج غير متوقعة، لذلك في رأي **بودون**،**(5)** أن الفرد لا يفطن أحيانا إلى نتائج تفاعلاته وعلاقته أو سلوكاته إلا بشكل متأخر، ففي هذه الحالة يدرك أن النتائج السلبية أو الإيجابية التي قد ينتهي إليها، لم تكن وليدة الصدفة بقدر ما كانت منطقية، كما هو الحال للطالب في رأي **بودون** مثلا، الذي يدرك بعد أن يمضي فترات طويلة في دراسة تخصص – ما – ليكتشف بعض تراكم المعطيات المنطقية والمقنعة، أنه قد ضيع وقتا كبيرا في هذا الاختيار . وقد يحصل أحيانا أن يقتنع الفرد بضرورة إيقاف علاقة اجتماعية بعد تراكم المعطيات بشكل منطقي واستيفائها شروط اقتناعه المنطقي بعدم جدواها ، لا نريد أن نتوسع كثيرا بخصوص هذا الموضوع (**أي المنطق الاجتماعي**)، بل فقط نريد أن نبين هنا أن العلاقات الاجتماعية ليست هي موضوع (اعتيادي بديهي) كما يظن ذلك عامة الناس، بل هو موضوع إشكالي، شائك يضم حقائق علمية ويشتغل على أساس آليات نفسية اجتماعية متعددة . وهذا ما سنبينه أكثر في المحاور اللاحقة لهذا المقال.

2-2 الاندماج الفردي والجماعي ، وعلاقته بالتكيف وآلياته الاستيعابية والتواؤمية.

إن سلوك الاندماج داخل الجماعة أو داخل المجموعات هو عملية اندماجية وتكيفية تتم عبر آليات وأساليب سيكواجتماعية معرفية متعددة ، ولعل أهمها آليات الاستيعاب والتوائم ، ففي آليات الاستيعاب يحاول الفرد أول الأمر الاندماج بصعوبات نفسية، إذ يشعر بغربة نفسية بالنسبة إلى الآخرين، فيرتد إلى ذاته، تارة ويخرج من ذاته إلى محاولة الانفتاح على الآخرين تارة أخرى، وهذه العملية الاستيعابية المستقاة من نظرية الاستيعاب والتوائم عند جون بياجي **(6)**، تبين لنا بشكل عام أن الكائن الإنساني لا ينفتح على الموضوع الخارجي دفعة واحدة، إنما يتم هذا الانفتاح في البداية، بشكل استيعابي (أي أن الفرد ينزع بطبيعته – كفاعل سيكومعرفي- إلى عدم الاعتراف بخصوصية الموضوع الخارجي، كأبعاد فيزيقية أو إنسانية مستقلة عن ذاته، لذلك فهو يحاول إخضاع الموضوع إلى بنياته المعرفية والعقلية السابقة على وجوده أي إسقاط المعرفة السابقة التي تمتلكها تجربته المعرفية الذاتية حول نفسه وحول المواضع السابقة (سواء كانت إنسانية أو فيزيقية)، لكن سرعان ما يتراجع عن هذه العملية أو الآلية الاستيعابية من خلال محاولة التوائم (أو التأقلم) مع الموضوع الخارجي والاعتراف بخصوصياته الوجودية المستقلة **(7)**، أي أن الفرد – كنسق سيكومعرفي (**système psycho cognitif**)، يتجاهل في أول الأمر الموضوع الخارجي الذي يصادفه في حياته العامة، كموقف أو حالات جديدة مفاجئة ، ويعترف في المرحلة الأخيرة، بأن هذا الموضوع هو شيء مستقل عنه ، وتظهر لديه القدرة على التوائم معه **(8)**.

إن آلية الاستيعاب وآلية التوائم هي من آليات وميكانزمات التكيف عند بياجي، وهي آليات تشتغل من المنظور السيكواجتماعي أيضا داخل العملية الاندماجية التي يقوم لها الأفراد داخل مختلف الوضعيات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية والتفاعلية بشكل عام (فهي لا تقتصر فقط على المراحل الأولى لنمو الطفل كما قد يعتقد وإنما تشمل كل مراحل النمو عند الإنسان كفاعل سيكواجتماعي معرفي). فالفرد حينما يندمج في سياق العلاقات مع الآخرين يحاول أول الأمر أن يستوعب الآخر المغاير له، لأنه لا يعرفه، ففي هذه الحالة يشعر بنوع من الغموض حيث تمتلكه الرغبة في النفور والعودة إلى ذاته، وبالتالي النظر إلى الآخر من داخل

عملية الإسقاط الذاتي، أي إسقاط المشاعر والإدراكات السابقة التي قد تكون سلبية أو ايجابية، حسب درجة التأثير ونوعيته الذي مارسه الآخر سابقا على نفسيته، فهذه العملية الاستيعابية (كتفسير) تتسم بالذاتية (**la subjectivité**) بمعنى أن معايير " ومداخل " إدراك واستيعاب الآخرين، هي معايير" **مدخلية ذاتية** " (نرجسية) إذ مقياس الفرد (كذات سيكومعرفية) في قبول الآخر ومعرفته وإدراكه، هو إسقاطه الذاتي بناء على تجاربه الاستيعابية السابقة المعتمدة على قدراته وبنياته المعرفية، لذلك فإن الكائن الإنساني عموما، يمارس رحلة الاكتشاف والمعرفة بشكل متواصل للموضوع الخارجي سواء في بعده المادي أو الإنساني، من خلال توظيف آلية الاستيعاب بمعناها (النرجسي) وآلية التوائم بمعناها الموضوعي.

فآلية التوائم (كشرح تفسيري) لا يلجأ إليها هذا الكائن إلا بعد أن تستغل لديه آلية الاستيعاب، لذلك فإن استيعابنا للآخرين في مجال العلاقات الاجتماعية لا تتم دفعة واحدة خارج ذواتنا بل، تتم على العكس هذه العملية الاستيعابية منذ البداية داخل ذواتنا أي أننا ننقل الآخر إلى عالمنا الذاتي (النرجسي) ونصنع أو نكون حوله صورة ذاتية أي صورتنا عنه وليس صورته هو عن نفسه، إذ نخرجه من ذاتنا إلى العالم الخارجي (اي الواقع الموضوعي) لكي نتنازل تدريجيا إلى الاعتراف بخصوصية المغايرة التي يتميز بها ككائن معرفي مستقل عن إسقاطاتنا وإدراكاتنا ونرجسيتنا الاستيعابية، إن هاتين العمليتين أي الاستيعابية والتوائمية تتم بطريقة متداخلة ومنفصلة في آن واحد ، بحيث ليس من السهل الوقوف عليهما، دون ملاحظات الباحث السيكولوجي، لسلوك الاندماج الذي يقوم به الأفراد فيما بينهم داخل مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والعلائقية بشكل عام، ودون الاعتماد على استدلالاته العلمية والفكرية والتأويلية لظواهر الاندماج والعلاقات داخل المجتمع ككل.

ومن هنا يمكن القول أن عملية الاندماج مع الآخرين تتداخل فيه تجربة الذات وتجربة الآخرين، وهي عبارة عن تجربتين متداخلتين، فالفرد يعمل بكيفية متواصلة في سياق علاقته بالآخر والغير على توظيفه مكتسبات تجربته حول ذاته التي يستمدها من تاريخ بناء صورته عن ذاته وصورة الآخر، وهكذا بنمو الفرد داخل علاقته مع الآخرين . وعملية الاندماج الاجتماعي، لا تخلو من صعوبات وعوائق متعددة ، وذلك بفعل تحولات الذات سواء على مستوى إدراكاته وتمثلاته واتجاهاته نحو الآخرين، أو على مستوى بناء وتوسع وعيه بهويته الفردية وتغير شخصيته، وذلك باعتبار أن تمثلنا وإدراكنا للآخرين هي عملية عقلية وجدانية غير ثابتة ومتغيرة باستمرار. إن الفرد لا يمكنه أن يندمج دون أن يتعلم كيف يتنازل عن نرجسيته التي هي عبارة عن بقايا وآثار لنرجسيته الطفولية، **فالأفراد يحتاجون إلى بعضهم البعض من أجل استكمال رحلة تجربة الذات وتعميق الوعي بها، وأليس الآخرين بالنسبة للفرد – كذات مندمجة - ، مجرد وسائل لخدمة هذا الطموح الذاتي؟ إذ أن الفرد يهدف من خلال العملية الاندماجية إلى كسب الاعتراف الوجداني وتأكيد وتحقيق الذات، كقيمة عليا وكهوية متميزة ومستقلة.**

2-3 التعاطف والتعاون والصراع بين الأفراد

يحتاج الأفراد إلى بعضهم البعض بطبيعتهم الإنسانية، من أجل تلبية حاجاتهم المادية والمعيشية، لكن الأفراد يحتاجون أيضا إلى الاعتراف الوجودي المتبادل (**la reconnaissance ontologique**) ويحتاجون إلى التعاطف والأمن خلال اندماجهم الاجتماعي في

شكل علاقات اجتماعية وعلاقات إنسانية، فقد بين لنا أبراهام مسلوف **B.Maslow** في هرميته المشهورة **(9)**، أن الأمن النفسي والحاجة إلى التقدير **(le besoin à l'estime)** توضع ضمن المراتب الأولى في سياق الترتيب الذي وضعه ابراهام ماسلوف حول الحاجات الفردية ، فالحاجة إلى الاعتراف باستقلالية الفرد كذات تمتلك شخصية خاصة، والحاجة إلى الأمن والاحترام والتقدير تسبق الحاجات الأخرى بما فيها الحاجات المعيشية والبيولوجية بالرغم من كونها حاجات أساسية وضرورية، مما قد يبرز هذا الرأي العلمي عند ماسلوف هو أن الفرد يمكنه أن يتنازل أحيانا عن حاجاته البيولوجية والمعيشية ولكن يصعب عليه كثيرا أن يتنازل عن حاجاته إلى الأمن النفسي وحاجاته إلى الاعتراف والتقدير**(10)** ، فإذا دعاك شخص – ما – مثلا إلى منزله أو في مطعم معين إلى مأدبة غذاء أو عشاء احتراما وتقديرا لك ، فلا شك أنك سوف تقبل ، على هذا الطعام بنهم وشغف ، وستجد أيضا أن مضيفك هو الآخر في نفس حالتك، وفي نفس الوقت إذا دعاك شخص إلى نفس المأدبة وأنت تعلم أنه لا يحبك ولا يقدرك، وأن دعوته لك مجرد (نفاق اجتماعي) يراد به تحقيق هدف معين، فإنك لا شك لن تقبل على تلك المأدبة بنفس الرغبة الأولى **(11)**. وهذا ، فقط لكي تعرف مدى أهمية الشعور بتقدير الآخر لهويتنا الفردية، ومن هنا يمكن القول أن التعاطف والتقدير متغيرات دالة داخل العلاقات الاجتماعية. ذلك أنهما يسمحان بالاندماج الايجابي للأفراد وبقبول الدخول في العلاقات مع الآخرين فكلما شعر الفرد بأنه غير مرحب به وغير مرغوب فيه من طرف الآخرين، إنزوى إلى نفسه وانطوى على ذاته من أجل تفادي وضعية الإهانة والإحراج اللذين قد يوضع فيها داخل علاقات أو جماعة معينة، وهذا شيء طبيعي يمكن أن يلاحظه الجميع. معنى ذلك أن إمكانية توقع القبول والتعاطف أو النفور والكراهية من الآخرين، يعتبر من أهم المتغيرات الدالة والمؤثر على مدى نجاح اندماج الأفراد وتكوينهم للعلاقات الاجتماعية.

ذلك أن التعاطف والتقدير المتبادلين هم محاور أساسية في مدى نجاح واستمرار العلاقة الاجتماعية مع الآخرين، وبالرغم من أن العلاقات الاجتماعية تبنى أحيانا على تبادل المصالح والمنافع إلا أنها ترتكز كذلك على دوافع الود والتقارب العاطفي، وتتوسع كعلاقات اجتماعية إلى ما هو ثقافي أو اقتصادي أو خدماتي .. الخ . فنحن نختار أحيانا من نتعامل معهم في الحياة الاجتماعية، حيث أننا نفضل من هم الأقرب ألينا وجدانيا، لكي نتبادل ونتقاسم معهم مهام أو وظائف أو مصالح معينة وبمجرد أن يتعاون الأفراد فيما بينهم تتولد علاقات اجتماعية تعاطفية في أي مجال سواء كان اقتصاديا أم ثقافيا أو اجتماعيا أو سياسيا إلخ.

إن التعاون والتعاضد يعتبران متغيرين مؤثرين جدا في تقارب الأفراد فيما بينهم. التعاون هو قطب الرحى في العلاقة الاجتماعية ذلك أن العلاقة الاجتماعية تتطور وتصمد بفضل التعاون بين الأشخاص المكونين لها، لكن قد يحصل أن تتفسخ العلاقات الاجتماعية وتنتهي إلى خصومات بين الأفراد ليس فقط لتضارب المصالح النفعية المادية بل كذلك لتضارب المصالح الرمزية وتصدع الأواصر الوجدانية، فالفرد حينما يشعر بتراجع تقدير الآخرين لمكانته وهويته وشخصيته، إما أنه يدخل في صراعات وتشنجات مع الآخرين، أو يغادر وينسحب غاضبا من علاقاته الاجتماعية مع الآخرين. وهذا يعني أن المتغيرات العاطفية والسيكووجدانية تلعب دورا هاما وحاسما في مدى تكون واستمرار وتوقف العلاقات الاجتماعية، إن ميل الفرد إلى الآخرين هو ميل اجتماعي اكتسبه الفرد منذ أن كان طفلا، (كما سبق أن أشرنا إلى ذلك سابقا)، وهذا الميل إلى الغير هو نزوع فطري إلى محاولة إلتماس حاجات ورغبات الذات عند الآخرين، إذ لا يمكن للفرد أن يحقق حاجاته ومتطلباته بمعزل عن الآخرين، ومن هنا فإن الفرد يكافح في الحقيقة طوال

حياته أي منذ نشأته الطفلية ليس فقط من أجل إشباع حاجاته المعيشية، بل كذلك من أجل الظفر بموقع محترم معترف به داخل مجال العلاقات مع الآخرين، فالفرد اعتاد بالضرورة وبفعل غريزة البقاء الاجتماعي أن ينسخ علاقات مع الآخرين، هذه العلاقات يكتسبها الطفل كتجربة أولية داخل الأسرة (كما سبق الذكر) ، لذلك فهو يتفاعل ويندمج في إطار هذه العلاقات، بكيفية تلقائية في إطار التنشئة الاجتماعية حيث يتشرب المعايير والقواعد الاجتماعية التي تنظم السلوك الاجتماعي ويتعلم كيف يكون عضوا متفاعلا مع الغير، معنى ذلك أن الطفل منذ نشأته الأولى، يتعلم كيف يستدخل ثقافة المجتمع داخل لاوعيه الجمعي **(l'inconscient collectif)**، ويتطورها كما يرى ذلك (**جورج ميد G.Mead**) **(12)** من خلال التماهي **(l'identification)** مع أشخاص آخرين، أي (حفظ) وتقليد واستلهام الأدوار التي يؤديها داخل المجتمع من خلال عملية الاستدخال **(l'intériorisation)**، أي استدخال ما يسميه جورج ميد **بالآخر المعمم (l'autre généralisé) (generalized other)**. وهكذا تتكون لدى الطفل حسب ج.**ميد** ذاته من خلال لعبه التماهي مع الأدوار التي يقوم بها الآخرون. فالذات بهذا المعنى ، عند **شارل كولي Charles Cooley**، ليست ذات صرفة مستقلة في تكوينها، بل هي نتيجة صيرورة تكوينية اجتماعية ، فكلمة (**أنا الفعلي**) وما يرتبط به بالأوصاف الفعلية الأخرى المحددة باللغة الفرنسية **me, moi** هي حركات وأوصاف ذاتية ذات أصول ومحتويات اجتماعية **(13)**. وبالتالي فإن الطفل يكون حسب **كولي**، الصورة التي يعتقد أن الآخرين ينظرون من خلالها إلى ذاته من خلال أحكامهم وتوصيفاتهم له، وهو ما يسميه كولي بنظرية **look king glass self)** (**le moi en miroir**) بمعنى **أن الذات تنظر إلى نفسها ضمن مرآة الآخرين** ، فالوعي الوجودي ، والوعي بالحضور وكينونة الذات **(l'être soi)** هم مجرد منتوجات للحدس والإدراكات التي تكتسبهم الذات من خلال تفاعلها مع الآخرين . إن الذات (**le soi**) عند **كولي** تحمل مدلولا اجتماعيا ، بل وكذلك الوعي الأخلاقي ، والوعي بالخير والشر والواجب ، هذه الأشياء كلها حسب **كولي** هي مكتسبات تحصل عليها الذات بفعل علاقاتها مع الآخرين. وبالتالي فإن ما نسميه تعاطفا بين الأفراد ما هي إلا حدوس وإدراكات (حسب رأيه) تشكلت وتكونت لديه نتيجة امتزاج هذه الذات مع الآخرين وذلك في سياق صيرورة نمائية تفاعلية منذ الطفولة.**(14)** ولعل هذا الرأي يستدعي جدلا علميا وفكريا آخر في مجال علم النفس الاجتماعي.

2-4 العواطف السلبية والعواطف الإيجابية داخل العلاقات الاجتماعية

تلعب العواطف دورا مؤثرا بين الأفراد، **وتعتبر من بين المحددات الحاسمة في مدى نجاح العلاقة مع الآخر أو فشلها، والعواطف عموما سواء تعلق الأمر بالمودة، والحب، أو الكره والحقد . والغيرة.. إل، هي متغيرات زئبقية غير مستقرة** ، ذلك أن الفرد يتغير مزاجه وردود فعله السيكولوجي بشكل مستمر حسب طبيعة المواقف الاجتماعية وتغير الظروف واللحظات، فنحن لا نتصرف إزاء الأحداث والوقائع التي نواجهها يوميا، فقط بما **يمليه علينا عقلنا المنطقي الصرف** بل نتصرف كذلك كما يرى ذلك **دنيال كولمين D.Golemein** بما تمليه علينا عواطفنا ومشاعرنا ، سلبا أو إيجابا **(15)**، ولذلك يصعب أحيانا الوعي بالدوافع العاطفية والوجدانية التي تملي علينا اتخاذ قرار معين أو التصرف بأسلوب معين غير لائق أو القيام بردود فعل معينة تجاه الآخري ، نتيجة تأثرنا البالغ بسلوك الآخر نحونا، وغالبا ما تنتفض عواطفنا بشكل سلبي أو إيجابي إزاء موقف اجتماعي نتيجة سوء فهم وإدراك لسلوك الآخرين أو لطريقة تواصلهم معنا، فالعواطف من الناحية العلمية، هي ذلك الوعي الدماغي والذاتي الذي يشتغل بشحنات كيميائية

نروعصبية (أي عبر النقالات العصبية داخل الدماغ) والتي نجد أنفسنا (في غالب الأحيان) عاجزين عن السيطرة عليها وإيقاف جموحها، لأنها نشتغل وفق منطق سيكومعرفي دماغي ليس من السهل الوعي به والتحكم فيه، لذلك فهي تتسلل إلى سطح الوعي والشعور وتآمر الأنا الفاعلة على التنفيذ بغير أرادة الذات ، كما يحدث ذلك في حالة الغضب والشك، والانفعا ، والخوف (والعصاب). ولذلك فإن متغيرات العواطف تشتغل وفق منطق سيكومعرفي لا ندركه جيدا حينما ندخل في علاقات مع الآخرين، وذلك لأننا نحن لا نتعامل مع الآخر كما هو في حقيقته الآنية بل نتعامل معه فقط كصورة مدركة، فالآخر عند **بول زواليتش** هو **"آخرنا"** نحن وليس هو الآخر الواقعي كتجربة ذاتية وجودية مستقلة عنا**(16)**. ومن هنا ، فإن الآخر قد يبدو لنا ويتهيء لنا في عدة صور حسب إدراكاتنا وتجاربنا الانطباعية والمشاعرية المبتدلة، فالآخر يرسل صورا مدركة ذات أوجه ومضامين متعددة ومختلفة للآخرين المغاريين له حسب نوع العلاقة القائمة معهم. لذلك فإن الشحنة العاطفية هي طاقة وجدانية توجه الفرد لكي يتقرب إلى الآخرين من أجل إشباع حاجاته الوجدانية والنفسية والمادية. وهكذا يتحول الفرد في إطار التفاعل الاجتماعي إلى مرسل (**émetteur**) تجاهه ومرسل إليه (**récepteur**) في نفس الوقت بحيث لا يحصل حسب **ج. استوتزل (J.stoetzel)** إلا على ما اعتمده كتأويل لردود فعل الآخر تجاهه من كلمات أو تصرفات معينة (**les conduites**) ، وهو ما يسمى في علم اللسانيات والتواصل ، بالتغذية الراجعة (**feed bac**) . فالتفاعل يحصل حسب ج. **استوتزل** بمجرد أن يقيم فرد معين علاقة ما مع فرد ثان وهكذا يبدأ التفاعل بين الأفراد حيث يتحولون إلى مرسلون (معلومات، أخبار، إيحاءات، رموز ..إلخ) وفي نفس الوقت إلى مرسلين إليهم (أي مستقبلين) **(17)**.

وهكذا قد تغدو العواطف السلبية أحيانا من كره وحقد وغضب، مجرد تأويلات ذاتية (أو تغذيات راجعة سلبية) نتيجة سوء الإدراك والتمثل أكثر مما هي حقائق عاطفية مبنية على أساس توقعات وجدانية و اقعية، ومن هنا يمكن القول أن التعاون بين الأفراد والتوافق، يبنى على أساس تأويلات وإدراكات إيجابية لسلوكات ونوايا الآخرين بينما الصراع والتفكك العلائقي والخصومات تبنى على أساس إدراكات عاطفية سلبية ، يشعر إزاءها الفرد بفتور الانجذاب إلى الآخرين وتراجع تقديراتهم نحو صورته الاجتماعية (أي الشخصية) مع العلم أن الصورة الذاتية للفرد تتقوى أو تضعف حسب إمكانياته ودرجة اندماجه مع الآخرين، إذ يصعب على الفرد تكوين صورته الذاتية بمفرده دون مساهمة الآخرين في تشكلها وبناءها، لذلك فنموها وتطورها وتعمقها رهين بمدى إندماجه وعلاقته بالآخري ، ومعنى ذلك فإن مجمل الصراعات والنزاعات التي تحدث بين الأفراد ترتبط بعوامل عواطفية، ذاتية أكثر مما ترتبط بعوامل موضوعية واقعية.

إن عملية اندماج الأفراد فيما بينهم بناء على هذا الفهم (السيكواجتماعي معرفي)، تقوم وتستند على المتغيرات العاطفية أكثر مما تقوم على أساس متغيرات المعايير والالتزامات الاتفاقية (قرارات مشتركة مهام ... إلخ) **ذلك أننا قد نقسو على الفرد ولا نرغب في اندماجه داخل مجموعة معينة، ليس لأنه يفتقد إلى مهارات عملية أو كفاءات معينة بقدر ما أن الأمر قد يفسر أحيانا بغياب تقدير هذا الفرد وبغياب المودة نحوه.**

2-5 الانصهار الإنجابي الاجتماعي (l'affinité sociale) وصورة الذات أية علاقة في مجال العلاقات الاجتماعية ؟

إن أهمية المصاهرة والانجداب نحو الآخرين (التساكن والتجاذب) في العلاقات الاجتماعية تلعب دورا دالا في الانجذاب (وطلب الآخر) كمعادلة ضرورية من أجل **إثبات الذات (la confirmation du soi)** و**تقدير الذات (l'estime de soi)** ، لأن هذه الأهداف لا يمكن أن يحققها الفرد بدون ربطه للعلاقات مع الآخرين.

إن " المصاهرة الانجدابية " (**l'affinité sociale**) تحمل معنا سيكواجتماعيا ، من حيث أنها ترتبط بالمثال الشخصي **(l'idéal personnel)** الذي ينجذب الفرد إليه باستمرار ويدفعه إلى " التماهي " معه واقتفاء آثره بغية تحقيق **الرضا بالذات** أو **تقدير الذات (l'estime de soi)**، وذلك لأن المطالب المثالية لدى الفرد من شأنها تقويم وترسيخ صورة الذات التي تظل حسب (**ميزنوف**) حاملة في مضمونها نفحات " النرجسية الأولى " (**narcissisme initial**) للطفولة ويعبر فرويد عن ذلك على النحو التالي :

" selon Freud « cette instance exerce également une fonction relationnelle : elle oriente nos " choix d'objet " et alimente en quelque sorte nos liens affectifs grâce aux satisfactions procurées par leur poursuite. Cet idéal apparait à la fois comme un substitut de narcissisme initial de l'enfance et comme un compromis entre certains modèles sociaux et le projet dynamique du mois ». (18)

من هنا يرى ميزانوف أن المثال الشخصي (**أي مثال الأنا**) يلعب دور الوسيط ين المثل الفرداني الاحتماء (أي الحماية) حيث يعتبر الآخر المتشابه له أكثر أمنا وبين المثل والرغبة في (تحقيق) التوسع و" الكمال " أي النموذج الآخر المختار (**كمثال شخصي**) الذي يسعى الفرد إلى بلوغه باستمرار باعتباره الآخر الذي يكمله (باستمرار) ويعبر عنها **ميزنوف** باللغة الفرنسية .**(19)**

« C'est donc au niveau de l'idéal personnel que pourrait s'effectuer une médiation entre ces deux tendances que nous venons d'exposer : être le souci de sécuriser l'autre qui me ressemble est plus rassurant et le désir d'accomplissement (l'autre élu est déjà ou d'avantage ce que je voudrais être, le me complet » (20)

وهكذا فإن المظاهر التجاذبية يعني بها أن كل فرد يحاول في علاقته مع شريكه (في العلاقة) أن يحقق إشباع مثاله الذاتي (الشخصي) أي أبحث عن ذاتي في الآخر **" la satisfaction de son propre idéal "**

غير أن مطلب هذه " المثالية النرجسية " في نظر ميزانوف لا يمكن أن تشبع في كل أبعادها ومعانيها ، الشيء الذي يجعل هذا (المطلب) والانضمام النرجيسي يبلغ حدوده حينما يغدو وأكثر وعيا به داخل " الذات " لأنه يضع كل فرد مشارك في العلاقة في حالة عزلة مما يكشف حسب ميزانوف **(21)** له أن روابطه وعلاقته بالآخر هي نوع من الوهم **fantasmes** ويؤثر على قيام أي تواصل أو تبادل حقيقيين بين كل الشركاء (داخل العلاقات بصفة عامة).

المحور الثالث : الأبعاد التفاعلية الوجدانية والأبعاد المعرفية الاندماجية والتربوية

3-1 العلاقات الاجتماعية كروابط تجاذبية وجدانية بين الأفراد

إن العلاقة ين الفرد والآخرين تتنوع وتعدد بفعل تعدد حاجات الفرد إلى الآخرين ، وبفعل أيضا تعدد المواقف والوضعيات الاجتماعية التي يوجد فيها الفرد، والعلاقة الاجتماعية هي على العموم تعارف اجتماعي يبنى على مساومات **(compromis) وتجاذبات وجدانية** ، تدفع الأفراد إلى الدخول في علاقات واتصالات وصدقات حميمية ، لذلك فإن العلاقة الاجتماعية، من طبيعتها أنها تفرز روابط تعاطفية وتفاعلات متميزة لا توجد في العلاقات الإنسانية أو العلاقات غير الاجتماعية ، إن الخاصية التي تتميز بها العلاقة الاجتماعية هي **خاصية التقارب الوجداني** ، فالعلاقة مثلا بين الصديق وصديقة ، لا تبنى على أساس المصالح والمنافع بقدر ما تبنى أولا على أساس قيم الوفاء والصدق، والمودة والإخلاص ، وهذه القيم تحمل درجات ومستويات متعددة ، وذلك حسب نوع العلاقة الاجتماعية ، العلاقة (مثلا) مع صديق أمين ليس هي نفس العلاقة مع صديق أقل وفاء ، لذلك فإن معيار الصداقة والتجاذب الوجداني هو الذي يحتكم في تراتبية **درجة الاستحقاق** بين الأصدقاء وفق **معادلة القرب والحميمية** ، فالعلاقة الاجتماعية بهذا المعنى هي ذلك الحقل الاجتماعي المصغر الذي يلتزم فيه الأفراد بالقيم والمعايير الأخلاقية بمعناها المجتمعي والإنساني وهي أيضا بمثابة الميدان الإختباري حيث تشتغل القيم والمعايير بكل أنماطها التي يرتضيها الأفراد الداخلين في علاقات اجتماعية معينة، والذين يكونون مجبرين على الالتزام بها كعقود وجدانية تجاذبية تلقائية متفق عليها فيما بينهم (فقط) ، ففي العلاقة الاجتماعية تشتغل القيم والمعايير الاجتماعية بشكل فعلي ، حيث تتقلص المسافة السيكولوجية بين الفرد والآخرين ، وحيث تستقر الاتجاهات (الاجتماعية) المتبادلة بين الأفراد الداخلين في علاقات اجتماعية ، وذلك باعتبار أن الاتجاهات وكما يجمع على ذلك علماء النفس الاجتماعي ، (ج.استاوتزل ، س مسكوفيشي ، شريف ميزانوف) كمعلومات استرجاعية تلعب دورا مؤثرا وهاما في مجال العلاقات الاجتماعية، فحينما يتعارفان شخصان فيما بينهم أو مجموعة من الأشخاص ، معنى ذلك أنهم يتبادلون بينهم اتجاهات عاطفية إيجابية قوامها المودة ، والتقدير ، وهذه الاتجاهات حسب ج . ميزنوف ، (كما هو مثبت في عدة أبحاث تجربة) تتميز **بالديمومة النسبية** نظرا لطابعه الوجداني. إن الاتجاهات على العموم حسب رأيه هي استجابات ينتجها الأفراد كلما واجه هؤلاء الأفراد مجموعة من المثيرات داخل البيئة الفيزيقية والاجتماعية ، ومعنى ذلك، **أن الاتجاهات هي استجابات (أوتوماتيكية) تجاه المثيرات البيئة والاجتماعية** ، فالاتجاه عموما هو نوع من عملية ضبط الروابط بين المثير البيئي والاجتماعي ، والاستجابة التي يظهرها الفرد من أجل توجيه سلوكه أو أفعاله كتعويض استباقي قصد تحقيق التوازن السلوكي والتكيف مع المثير الخارجي حسب مسكوفيشي **(22)** . ومن هنا يبدو أن الاتجاهات تلعب دورا هاما ودالا داخل العلاقات الاجتماعية ، إذ تتمتع بنوع من الاستمرارية ، وتعتبر من الأسباب التي تساهم في استمرار الروابط العاطفية ، وذلك لأن العلاقة الاجتماعية ، هي في العمق علاقة عاطفية تحددها تجاذبات وجدانية ترتكز على المودة والوفاء والتقارب الحميمي ، أكثر مما تبنى على أساس المصالح المادية ، فالاتجاهات تشتغل داخل العلاقات الإنسانية عموما ، والعلاقات الاجتماعية خصوصا بحيث تميل بطبيعتها إلى التفاعل الإيجابي قوامه المودة والتضحية والمساعدة والاستجابة لمطالب الأصدقاء والأحباب ، كما هو الأمر داخل الأسرة ، لذلك فإن الاتجاهات كما يرى ذلك **ج.ميزنوف و**

س.موسكوفيشي وعلماء النفس عموما هي مصدر للسلوك إزاء موقف معين وهذا ما يؤكده مصطفى حدية بقوله : «**تلعب دورا أساسيا في حياة كل فرد ينتمي لمجتمع وثقافة معينة. في أي مجال يعيش فيه. وذلك على اعتبار أن الاتجاهات توحد وتنظم العمليات النفسية كلها من دافعية وإدراك إلى معرفة و انفعال في مختلف مجالات الحياة اليومية للأفراد، فمن خلا الاتجاهات يستطيع افرد السلوك بشكل واضح كما يتمكن من الحسم في مو اقف معينة باتخاذ قرارات فعالة في نوع من الاتساق والانسجام بحيث يمكن الوقوف من خلالها على نوعية العلاقة التي تربط الفرد بالجماعة والمجتمع الذي ينتمي إليه**» (مصطفى حدية ، عن كتابه " قضايا في علم النفس الاجتماع ") **(23)**.

لذلك فإن الاتجاهات هي جزء من العمليات والآليات السيكواجتماعية التي تظهر وتشتغل كلما كان هناك تفاعل بين الأفراد في سياق وضعيات اجتماعية معينة وهي بذلك تشتغل بشكل جدلي ترابطي إلى جانب التمثلات الاجتماعية وآلية الإدراك الاجتماعي **(la perception sociale)**وآلية التنميط الاجتماعي، بمعنى آخر أن الاتجاهات لا يمكن أن يظهرها الفرد بمعزل عن تمثله الاجتماعي وإدراكه الذاتي للموضوع الخارجي التي يتجه صوبه اتجاهه، إن هذه العمليات السيكواجتماعية هي تركيب جدلي سيكواجتماعي للعمليات النفسية المعرفية داخل الفرد (أي المتعلقة بالنظام السيكولوجي الذاتي) وعمليات الاشتغال النفسي الاجتماعي خارج الفرد، بفعل تفاعله مع الغير (أو مع الآخرين) لذلك فإن علاقة الفرد مع الآخرين تندرج في إطار نسق سيكواجتماعي تفاعلي يضم مجمل علاقات الأفراد فيما بينهم ، فبمجرد أن **يلتقي شخص مع شخص آخر يظهر التفاعل** (كما أشرنا في ذلك سابقا)، حسب ج. **استوتزل G.Stoezel** وتبدأ العمليات السيكواجتماعية (أي اتجاهات والتمثلات ، الإدراك .. الخ) في الاشتغال ، بمعنى آخر أن هذه العمليات هي وليدة التفاعل، **والتفاعل بهذا المعنى هو الإطار الدينامي العام المؤطر للاتجاهات والتمثلات والإدراكات إلخ**. بل هو أيضا الدينامو المحرك والمنتج لكل العمليات النفسية الاجتماعية ، من هنا نقول أن العلاقات الاجتماعية هي **علاقات تفاعلية خاضعة لقوانين وعلل متعددة** ، والتفاعل بمعنى آخر من الناحية العلمية هو (في نظر علم النفس الاجتماعي) **بمثابة القانون الاستمولوجي الأول الذي ينتج كل الظواهر النفسية والاجتماعية**، والظواهر الثقافية والاقتصادية، إذ لا يمكن أن نتصور ظاهرة نفسية أو اجتماعية أو ثقافية لم يساهم فيها مجموعة من الأفراد المتفاعلين في خلقها وإنتاجها ، والفرد بمعزل عن الآخرين (الأفراد) لا يمكنه إنتاج الظاهرة الاجتماعية أو الثقافية بمفرده، لأنه لا يتفاعل، فلا يمكن أن نتصور فردا مجردا لا يتفاعل أو غير متفاعل، وهذا لا يصح ولا يمكن ، ذلك أن **الفرد محكوم بضرورة التفاعل، والتفاعل هنا هو ضرورة وليس اختيارا. (l'interaction n'est pas un choix mais c'est une nécessité)** إن الطفل بمجرد أن يولد ، يولد معه أيضا التفاعل وأول تجربة تفاعلية يخوضها الطفل ، هي تجربة التفاعل مع أمه، ولا يمكن للطفل أن ينمو ويترعرع وينشأ بدون التفاعل مع الآخرين، **فبعد تجربة التفاعل مع الأم ، تبتدئ تجربة التفاعل مع الآخرين**، وخلال مرحلة أوديب يبدأ الطفل بتصنيف الآخر خارج أنا الطفل وأنا الأم ، فالوعي الطفلي بالغير لا تتم حسب التحليل النفسي (كمعلومات استرجاعية سابقة) بشكل واضح إلا خلال مرحلة أوديب ، وهي المرحلة السيكولوجية حسب فرويد التي يعي فيها الطفل بأن هناك من ينازعه ويتقاسم معه أمه وهذا الوعي يولد في الطفل الشعور بالآخر المنافس الذي هو طبعا، الأب ، من هنا تبدأ عملية الوعي لدى الطفل " بالغير المنافس " والمهدد للوحدة النفسية التي كان الطفل يستشعرها مع أمه وهو ما يسميه فرويد بوحدة الطفل والأم (وهي وحدة نفسية جنسية ، عند فرويد) ، والطفل عند فرويد من

وجهة نظرا التحليل النفسي (كشرح استنتاجي معروف) مدعو إلى ضرورة الاستقلال عن الأم، لكي تتأتى له إمكانية النمو النفسي السليم، وعلى الطفل في نظر فرويد أن يتقبل هذا الاستقلال الضروري الفاصل والمميز بين أنا الطفلي وأنا الأم وأنا الأب أيضا كطرف مرتبط ومصاحب وزوج للأم (لا نريد هنا أن نخوض هنا في أدبيات التحليل النفسي لمسألة أوديب التي تحمل مضامين وأبعاده عميقة، بل ما نريده من خلال ذلك، هو فقط، تبيان أن الوعي بالغير (والآخرين) (**l'altérité**) تجد جذورها الأولى بشكل واضح خلال مرحلة أوديب وهي المرحلة التي يمكن (تسميتها) وأن نطلق عليها (من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي) **بمرحلة الوعي بالآخر أو الوعي بالغيرية.**

المحور الرابع : عملية الاندماج وسياقه التنشئوي والبيئي في بروز الشخصية

تلعب التنشئة الاجتماعية دورا مهما في اندماج الفرد داخل المجتمع في سياق هذا الاندماج يكتسب الفرد أساليب الإندماج الإجتماعي سواء بكيفية إرادية أو تلقائية أو بكيفية قهرية كما يقول كما يرى ذلك **اميل دوركايم** ، وذلك لأن الفرد يتقبل الضوابط والمعايير الاجتماعية التي تمارس عليه قهرا وفي هذه التنشئة يستدخل الفرد المعايير الاجتماعية ويتشرب القيم الموجهة للسلوكات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية والإنسانية في إطار ما يسميه **روشي كي** باللغة الفرنسية (**l'orientation normative de l'action sociale** وهذا يعني أن الأفراد بصورة أولية تلقائية يندمجون اجتماعيا منذ طفولتهم ويلتزمون بالمعاير والضوابط التي توجه سلوكاتهم الاجتماعية (كما يرى ذلك **ك. روشي (24)** ويعني أيضا أن الأفراد قد اكتسبوا مهارات الاندماج الاجتماعي فقط في صورتها الطبيعية التلقائية، إذ أن الفرد (كطفل صغير) يأتي إلى المدرسة وهو يتحدث لغة مجتمعه ، ويمتلك أبجديات التواصل ومراعاة الأخلاق والقيم في علاقته مع الآخرين . ومعنى ذلك أن عملية اندماج الأفراد داخل المجتمع هي عملية متواصلة يخضع لها الفرد باستمرار ويتقبلها بشكل طبيعي منذ طفولته الأولى ، إذ هناك مؤسسات متعددة تقوم بدور التنشئة الاجتماعية وبعملية الادماج داخل الأسرة والمدرسة، والمسجد – والبيئة .... إلخ .**لكن كيف تتم عملية الاندماج في هذا الإطار** ؟ إن الأفراد يندمجون (كتفسير) داخل المجتمع بكيفية تلقائية وموجهة بشكل قهري لسلوكاتهم وأفعالهم الاجتماعية دون أن يشعرون بذلك كما يرى ذلك **(دوركايم)** فالفرد في نظر ج.ميد يكتسب في إطار الاندماج الاجتماعي ما تسميه **بالذات الاجتماعية (le soi social)** والطفل في نظره يكتسب الاتجاهات وطرق التفكير ويقلد أدوار الراشدين من خلال اللعب، من أجل أن يتهيأ إلى إدماج ذاته اجتماعيا من خلال تعلم اللعب **(25)** وج. **بياجي** أيضا يشير إلى أن الطفل يخرج من **مرحلة التمركز الذاتي (l'égocentrisme)** بشكل تدريجي من خلال تقليده لحركات وسلوكات الراشدين ، وبمجرد أن يصل إلى مرحلة السابعة حسب رأيه يبدأ في اكتساب طرق وأساليب التواصل مع الراشدين وفي مقدمتهم الأب والأم وهكذا الطفل يشرع في عملية إدماج ذاته اجتماعيا والانتقال من التمركز الذات والانزواء حول الذات (كما يرى ذلك بياجي) إلى تقبل الغير والآخرين بوصفهم قطب إيجابي بديل وأفضل من تمركزه الذاتي**(26)**. وهكذا تستمر العملية الاندماجية للأفراد التي هي بقدر ما تقوم بها التنشئة الاجتماعية يساهم فيها أيضا الفرد نفسه .لأنه يتقبل (كما قلنا ذلك) بكيفية تلقائية عملية إدماجه وتنشئته وفق ثقافة ومعايير وقيم المجتمع الذي يترعرع وينمو داخل الفرد . مما يجعله يستثمر ويحول عملية إدماجه التي مورست من طرف التنشئة الاجتماعية إلى مكتسبات وتجارب تسمح له بالسعي إلى إدماج نفسه باستمرار داخل المجتمع مما يجعله يكتسب في هذا السياق شخصيته داخل البيئة التي ينشأ فيه ، فحسب **كورت لفين** لا معنى للشخصية ، بدون

وجود البيئة التي تتكون فيها هذه الشخصية ، فالبيئة لديه من حيث هي من حيث هي مجال اجتماعي وفيزيقي تدخل في المجال الإدراكي للفرد وتخضع لرغباته وحاجاته واتجاهاته ، مما يستثير الفرد ويدفعه لكي يتكيف معها بسلوكات معينة يتميز بها عن سلوكات الآخرين لذلك فإن كورت لفين يضع هنا معادلته الشهيرة **B= F(P+E)** أي أن السلوك هو دالة على (**الشخصية** + **البيئة**). فالعلاقة الشخصية بالبيئة بهذا المعنى بالنسبة لكورت لفين هي علاقة دينامية(**une relation dynamique**) ، ذلك أنه **في نظر لفين** لا يمكن أن نتصور وجود شخصية في بيئة معينة دون وجود أفعال وسلوكات معينة ينتجها الشخص (الحامل للشخصية) إزاء مثيرات هذه البيئة ، فكل سلوك هو دال على مدى تورط الشخص في وضعية – ما – داخل البيئة **(حسب لفين)** بحيث يؤدي ذلك التورط إلى وقوع تفاعل دينامي بين سلوكات وتصرفات الشخص وبين الوضعيات البيئة التي تسلك الفرد إزاءها ويتفاعل ، ويعبر **كورت لفين K.Lewin** عن هذه الروابط بين الشخص والبيئة بكون الشخصية هي سلوك دينامي يدير به الشخص روابطه بالمواقف والوضعيات البيئية بطريقته الخاصة وهذا هو المعنى الشخصي في علاقته بالبيئة عند **(كورت لفين)** ويمكن عرض هذا الرأي عند ليفين باللغة الفرنسية كإحالة مرجعية أصلية مباشرة على النحو التالي :

« La structure de l'environnement, telle qu'elle est perçue dépend des désires et des besoins de la personne, autrement dit de ses attitudes, tandis que le contenu de l'environnement met le personne dans un certain état d'esprit. Ce rapport dynamique de réciprocité crée la situation dont le comportement est jonction. Ainsi la personne n'est pas indépendant de la situation, elle en fait partie et a l'intérieur de la situation » (27)

معنى ذلك عند **كورت ليفين** (كفهم وتفسير) إن الفرد (الحامل لقناع الشخصية) يندمج داخل البيئة كشخص اندماجي بالضرورة، سواء كان هذا الاندماج بمعناه القهري الإجباري الذي يمارسه المجتمع على الإفراد لكي يرغمهم كما يرى ذلك **إميل دوركايم** على تقبل ذلك عن طواعية وبكل تلقائية (أي ما يسميه دوركايم بالقهر الاجتماعي التلقائي أو التوجيه المعياري للأفعال والسلوكات الاجتماعية ، ولذلك فإنه بقدر أن الفرد يندمج بالضرورة وبكيفية طبيعية داخل المؤسسات والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية ، بقدر ما يكتسب الشخصية (أي شخصيته) كآلية من آليات الاندماج والتكيف داخل المجتمع، والشخصية بها المعنى في نظر ج. **ميد** (كما رأينا ذلك سابقا) هي (مجرد) ظاهرة اجتماعية **(un phénomène sociale)** أي ليس بنية مستقلة في تكوينها، بل (في رأينا كاستنتاج جدلي) هي **عملية تكيفية فردية لا تختلف كثيرا عن بقية العمليات التكيفية الأخرى (آلية التواصل ، آلية الاستيعاب ، القدرات والمؤهلات ...)** والسؤال الذي ينبغي طرحه هنا هو: **كيف تغدو الشخصية على ضوء ما سبق أحد رهانات (les enjeux) ومتغيرات العملية الاندماجية.**

كتفسير وفهم لما سبق يمكن القول إن الفرد في هذا السياق حينما يندمج داخل مختلف الوضعيات والمواقف الاجتماعية ويوطد علاقات وروابط اجتماعية مع أصدقاء أو زملاءه أو أقرانه ، ورفاقه معنى ذلك أنه يتكيف ويستوعب ويتواءم مع الغير من خلال تنازلات نفسية ومساومات قيمة .. إلخ وبالتالي فإن شخصية الفرد هنا تلعب دورا مؤثرا ومحدد في مدى نجاح روابطه وتفاعلاته مع الآخرين، ذلك أن إندماجه الإيجابي رهين بمدى قدرته على تدبير التنازلات والتوازنات والتبادلات النمطية والرمزية بينه وبين

الأشخاص الآخرين، ورهين في نفس الوقت بمدى توافقه الشخصي وتقبله لمزاج شخصيات الآخرين ، أي أساليب عيشهم وأنماط حياتهم ونوع أذواقهم ومعتقداتهم وآراءهم وأدوارهم الاجتماعية ومكاناتهم واتجاهاتهم ونظرتهم إلى مشكلات الحياة ككل .. إلخ ، لذلك فإن الشخصية هي في هذا السياق ، أسلوب سلوكي يتكيف بموجبه الفرد ضمن وضعية اجتماعية وعلاقات معينة قصد التوافق مع الآخرين وتحقيق التوازن ، وهي بهذا المعنى تندرج ضمن أنساق الأفعال والسلوكات الاجتماعية التي يبديها الأفراد ويظهرها خارج ذواتهم ، فهي أداة من أدوات الفعل الاجتماعي كما ذهب إلى ذلك سابقا ج. ميد G.Mead ويؤكد ذلك دوركايم في هذا الرأي الذي يعرضه لنا ج. ميزانوف على النحو التالي (كإحالة مرجعية أصلية) :

Selon G. Rocherd « On se souvient que, pour Durkeim, le caractère social de l'action humaine provient de ce que celle-ci obéit à des manières collectives d'agir de penser et de sentir qui sont extérieures aux personnes et qui ont sur leur conduite un pouvoir de contrainte ». Dés lors « les manières d'agir de penser et de sentir, exercent leur contrainte parce qu'elle se présente à nous sous forme de règles, de normes, de modèles dont nous devons nous inspirer pour guider, orienter notre action, si nous voulons que celle-ci soit acceptable dans pa société ou nous vivons ».(28)

ويضيف روشي كي باللغة الفرنسية لإبراز البعد المجالي حيث تنخرط المؤسسات ويتداخل الفردي بالجماعي ويتكون الأفراد في وعيهم وشخصيتهم ما معناه (كإحالة مرجعية أصلية) :

« On passe selon K.Lewin ainsi par des transactions insensibles de l'individuel au collectif et du conscient à l'objectif, la personne (la personnalité) les objectifs, les institutions, les sociétés, les événements sont autant d'éléments des situations. Ces éléments sont entre eux dans des rapports dynamiques, dont l'ensemble détermine le structure du chams psychologique » (29)

« On voit combien avec Mead et Levin, on est loin de l'opposition que faisant Durkheim entre la conscience individuelle et la conscience collective, l'activité psychique se nourrit de l'environnement social en même temps qu'elle s'y prolonge, le milieu est à la fois environnement de la personne et partie avec celle de sa situation ». (30)

ومن هنا تغدو الشخصية (في رأينا في هذا السياق ووفق هذا التفسير) سلوكا تكيفيا لدى الفرد يلاحظه الآخرون في إطار علاقات وتوافقات وتفاعلات معينة ضمن وضعية أو حالات اجتماعية معينة، وهكذا يتداخل الوعي الفردي **(l'inconscient individuelle** (مع الوعي الجمعي، ل **l'inconscient collective)** ذلك أن ما يظهره الفرد خارج ذاته من أفعال ومزاج وسمات شخصية .. إلخ، (أي كل ما يعبر عنه بالشخصية) يعيه الفرد ويدركه الآخرون في نفس الوقت ويعونه بدورهم كواجهة خارجية للشخص ، ذلك أن

تلك السمات والأفعال (كما يقول كورت لفين) هي رسائل سلوكية ورمزية موجهة صوب الآخرين، إذ لا معنى لها بدون أن تلتقط وتدرك من طرف الآخرين.

ومن هنا (حسب رأينا) يبدو أن الشخصية هي (بهذا المعنى) أيضا أداة من أدوات وآليات الاندماج الفردي ، وهي تعتبر بذلك أحد العوامل السيكواجتماعية التي تسمح للفرد وتساعده على إظهار **صورته الاجتماعية كواجهة سلوكية** وتعبيرية وكرسائل يعلن خلالها ذاته الخارجية ويعرف بها في مواجهته وتعاملاته مع الآخرين كعلاقات اجتماعية أو إنسانية ، **إذ لا نعرف عن الآخر إلا ما يظهره لنا**. ومعنى ذلك أن الشخصية هي في آخر مطاف ، ذلك القناع الخارجي* الضروري الذي يلجأ إليه الفرد لكي يعرف بنفسه وفي نفس الوقت من أجل أن يتجاوب ويتكيف مع الآخرين ، وهي في العمق (كجدل فكري وكما نستطيع أن نفهمها عند كورت لفين) عملية تظاهرته يتظاهر بها الفرد وفق تبدل الوضعيات والمواقف الاجتماعية كسلوك دينامي علائقي يهدف إلى إيجاد موضع ضمن تصارع القوي التفاعلية أي التفاعلات والتصادمات والتوافقات أيضا بين الأفراد كأشخاص يحملون هم أيضا قناع الشخصية ، حيث تغدو الشخصية بمعناه العلمي (الفزيائي) عند كورت لفين وكما يبدوا من أرائه السابقة جزءا من **القوى المتصارعة** ضمن ما يسميه **ك.لفين** المجال السيكواجتماعي (**le champ psychosocial**) وهكذا تظل الشخصية وفق هذا التصور السيكواجتماعي الدينامي قوة قناعية دينامية يحددها ويؤطرها السلوك في ارتباطه بالبيئة في سياق دينامي جدلي يندمج فيه الفرد في شخصية سلوكية ضمن موقف اجتماعي أو بيئي معين

4-1 دلالة التمايز بين الشخصية والهوية في مجال العلاقة مع الآخرين :

إن الفرد بناء على هذا الفهم العلمي المنفتح يكشف بالضرورة في سياق اندماجه داخل المواقف والوضعيات العلائقية مع الآخرين بصفة عامة سمات وخصائص مزاجية وسلوكية تخصه بحيث يتميز بها عن الأفراد الآخرين ، وهو ما يسمى وفق هذا التحليل في علم النفس الاجتماعي ، بالشخصية "الدينامية". **ولعل سيكولوجية الشخصية حينما تركز في هذا الإطار على هذه السمات والمميزات الشخصية التي ينفرد بها كل شخص في تجاوبه وتكيفه إزاء مختلف المو اقف ، فهي بذلك تستمد مشروعيتها العلمية من حيث أنها تدرس وتقيس ما يظهره الشخص خارج ذاته من ردود فعل ومن استجابات ، باعتبار هذه الاستجابة كاشفة ودالة على طبيعة سماته دو افعه وحو افزه وقدراته المعرفية وذكاءه ... إلخ. لكن الشخصية هنا ليست جوهرا عميقا للذات ، بقدر ما هي مجرد تمظهرات سلوكية وتكيفية دينامية يبديها الأفراد إزاء تحولات ومشكلات الظروف والمو اقف الاجتماعية والإنسانية عامة، إن هذا الطابع المتحول للشخصية ، وهو ما يجعلها قناعا يرتديه الفرد بالضرورة ، ويستبدله حسب تغير المو اقف والشروط البيئية والعلائقية لكن السؤال المطروح هنا ما هو موقع ودلالة الهوية الفردية في هذا السياق ؟ إن الهوية (في نظرنا بناء على ما سبق) هي مكون ذاتي يرتبط مباشرة بالوعي الذاتي (la conscience de soi)** وهي ليست صفة أو أداة سلوكية أو تمظهرا عاما للشخص وليست هي الشخصية نفسها (كما سبق أن أوضحنا ذلك) إنما هي وعي تاريخي بالذات يلازم الذات في كل سيرورتها التحولية ، والهوية بهذا المعنى تمتلك منطلقاتها (في رأينا) منذ الطفولة الأولى حيث يكتسب الطفل الوعي بذاته والوعي بالغير والآخرين في نفس الوقت (كما أوضحنا ذلك سابقا) إذ أن حاسة الوعي لا تقل أهمية من الحواس الخمس، فما قيمة هذه الحواس الخمس بدون

الوعي السيكووجودي بالذات لذلك في رأينا ، إن البناء الهوياتي للذات يبدأ منذ أول وعي دينامي بالذات، من هنا فإن الهوية تخضع إلى التحول والتوسع بفعل التفاعل والاجتماعي مع الآخرين ، إن الفرد يمتلك هوية فردية بالنسبة لمن ؟ طبعا بالنسبة لنفسه والآخرين ، لأن الغير (أي الآخرون) هم كذلك يمتلكون هوياتهم الخاصة بهم ، لذلك فإن الحديث عن الهوية الفردية (الذاتية) في مجال العلاقات مع الآخرين، هو حديث عن الأنا المتميز وعن الآخرين المميزين **(l'autre et la différance)** . إن الهوية بمعناها العلمي الصرف يفيد أن هناك ذات تنزع باستمرار إلى المماثلة مع نفسها ، وحيث إن ذلك هو مطلب متعذر لأنه عبارة عن طموح مثالي وتطلع تسعى الذات إلى بلوغه باستمرار كما يرى ذلك ج. ديفرو **J. Devereux (31)** لكنه من الصعب تحقيقه مما يدفع الذات إلى التطور الهوياتي بفعل التفاعل مع الآخرين، لذلك فإن أعطاب وجروحات الهوية هي حصيلة ونتيجة تعثرات وأزمات بناء الهوية الفردية**(32)** . وذلك سواء تعلق الأمر بالانحرافات والتعثرات الهوياتية التي لا ترقى إلى مستوى المرض العصابي أو المرض الذهاني أو التعثرات والأعطاب المرضية التي تأخذ طابع العصاب أو الذهان . لأن العصابات عموما هي اختلالات نفسية داخل الذات يهتز بها الفرد في كيانه الهوياتي الداخلي، الشيء الذي لا محالة ينعكس على سلوكاته وتكيفاته الخارجية ، مما ينعكس ولا شك على مكونات شخصيته كواجهة سلوكية دينامية في علاقته بالعالم الاجتماعي الخارجي ، ومعنى ذلك أن اختلال الهوية الفردية هو اختلال أيضا لشخصية الفرد بل واختلال لكل مؤهلاته التواصلية والتفاعلية إزاء وسطه الاجتماعية والبيئي .

4-2 الكفاءة (الشخصية) الاجتماعية (la compétence social)

والكفاءة الهوياتية (la compétence identitaire)

مما لا شك فيه أن الفرد كفاعل اجتماعي مطالب باستمرار بالاندماج الاجتماعي والمؤسساتي ، فعملية الاندماج هي عملية لا تتوقف داخل المجتمع، ولعل التنشئة الاجتماعية تمنحنا منذ طفولتنا المقومات الأولية للاندماج الاجتماعي داخل الأسرة، والمدرسة والبيئة الاجتماعية ككل ، لكن هذه العملية الاندماجية تستمر مع الفرد طيلة حياته، لماذا ؟ لأن الحياة الاجتماعية تتجدد باستمرار سواء داخل المجالات المهنية أو داخل المؤسسات ، أو داخل الأسر ومختلف دواليب الحياة المجتمعية ، لذلك فإن الفرد يضطر في هذا الإطار إلى تطوير شخصيته بهدف التكيف مع هذه التغيرات الحتمية بهدف اكتساب الكفاءات والمهارات الاجتماعية المواكبة لمختلف المقتضيات الجديدة التي تخلقها الحياة الاجتماعية. **ماذا يعنى بالكفاءة الاجتماعية في هذا الصدد ؟**

إن **الكفاءة الاجتماعية** يعنى بها امتلاك القدرة على الاندماج الاجتماعي وإقامة العلاقات الاجتماعية مع مجموعة من الأفراد سواء في ميدان العمل أو في الميادين الثقافية والسياسية والاجتماعية بكيفية إيجابية من خلال تفهم شخصيات الآخرين وإدراك سليم لمزاجهم ودوافعهم وأذواقهم وحوافزهم ، وطبيعة ردود فعلهم للمشكلات التي تواجههم ... إلخ ، أي إن الكفاءة الاجتماعية في نظر **جون مارك ديتريني (J.Marc Dutrenit)** لا تقل أهمية عن الكفاءة التقنية والمهنية **(كتاب la compétence sociale) (33)** وهي في نظره القدرة على استيعاب والتمكن من العلاقات الإنسانية وتحويلها إلى علاقات اجتماعية. إن القدرة على إقامة العلاقات مع الآخرين سواء في ميدان الحياة العلمية أو في كل ميادين الحياة الاجتماعية ، هي من أهم المهارات التي ينبغي أن يكتسبها الأفراد لكي يندمجوا مع بعضهم البعض بكل يسر وسهولة ، وتوطيد أواصر القرب الوجداني وتوفير شروط المودة والانجذاب الإيجابي

(**l'affinité**) بينهم مما يشجعهم ويحفزهم على الإنتاج والمردودية والتعاون والتوافق في كل ميادين الحياة المجتمعية **(34)**. وإذا كانت الكفاءة الاجتماعية تحمل هذا المعنى الاجتماعي، **فماهي علاقتها بالكفاءة الشخصية ؟**

إن **الكفاءة الاجتماعية** لا يمكن امتلاكها دون امتلاك الكفاءة الشخصية ، ذلك أن الفرد الواعي بدوافع مزاجه والقادر على التكيف والتأقلم والاستيعاب والتواءم ، هو نفسه الفرد القادر على التمكن على فن التواصل والتفاهم مع الآخرين والنجاح الاجتماعي والتقرب الوجداني والمعرفي مع الآخرين لذلك فإن الكفاءة الاجتماعية والكفاءة الشخصية (**la compétence personnelle**) عنصران متلازمان ، فالكفاءة الاجتماعية إذا جاز اختصارها حسب **جون مارك ديتريني**: هي كل ما يرتبط بالمعرفة العملية الاجتماعية (**le savoir faire social**) (35) والكفاءة الشخصية (في رأينا) هي فن تدبير السلوك والقدرة على تدبير الاستجابات والتوافقات والتحكم في القناع الشخصي واستبداله بكل مرونة حسب طبيعة المواقف والظروف الموضوعية والذاتية .
أما علاقة الكفاءة الاجتماعية والكفاءة الشخصية بالكفاءة الهوياتية (أو الهوية) هي علاقة متداخلة ، **فإذا كانت الكفاءة الشخصية مرتبطة بالكفاءة الاجتماعية كمهارات سلوكية ، فإن الكفاءة الهوياتية يعنى به مهارات تدبير الذات** (**le savoir être**) والقدرة على التحكم وتوجيه المشاعر وضبط الانفعالات الداخلية ، وتعميق الوعي **بالهوية الذاتية** (**être**) باعتبار أن الفرد ينتمي إلى نفسها قبل أن تنتمي إلى الآخرين، حيث أن الوعي بالذات مهما تحولت الظروف والمواقف والتصالح معها في وئام نفسي ذاتي يسمح جدليا بالوعي الواقعي بالآخرين ، فلا يمكن للفرد أن يتصالح ويتوافق مع الآخرين ويبرم معهم علاقات اجتماعية إيجابية ، إن لم يكن هو نفسه متصالحا مع ذاته ، واعيا بانتمائه الهوياتي لذاته ويعرف من هو في ذاته ؟ لذلك فإن الهوية الفردية هي أهم الهويات الأخرى : **أي الهوية البيئية ، والهوية المهنية ، والهوية الاجتماعية والهوية الأنتروبولوجية (أي الهوية الثقافية والعرقية)** وذلك لأن الهوية الفردية هي منطلق الوعي بهذه الهويات ، فلا معنى للهوية العرقية والثقافية بدون هوية ذاتية فردية. ذلك أن الوعي بالهوية الفردية هو سبيل إلى نجاح الانتماء إلى الهويات الأخرى : **فإن لم يكن الفرد المنتمي لهذه الهويات مثلا غيرواع بهويته الفردية والذاتية أولا أي لا يعرف من هو ؟ في ذاته قبل أن يعرف من هو؟ عرقيا وثقافيا .. إلخ**، لا يمكنه أن يكون فردا ناجحا في تدبيره لوعيه بذاته كهوية فردية مستقلة، وقادرا على تحقيق ذاته وإدماجه في عالم الغير والمغايرة (أي الآخرين) ذلك أن الفرد الممتلك لهوية فردية متوازنة هو ذلك الفرد المتصالح مع ذاته والسوي والمتوازن نفسيا والمدرك لذاته الذي يسهل التعامل معه **وهو بذلك ربح لنفسه وربح لأسرته وللمجتمع برمته، والفرد غير المتصالح مع ذاته وغير الواعي بهويته الذاتية وأصالة ذاته وهو على العكس خسارة لنفسه وللآخرين أيضا** . لذلك فنحن في حاجة إلى اعتماد تربية مدرسية تساعد الفرد على انبثاق أصالته الهوياتية وتطوير شخصيته أيضا ، وهو ما يسمى في علم النفس الاجتماعي" **بروز الفرد الأصيل في ذاته" (l'émergence de l'individu) كفاعل سيكومعرفي مستقل وأصيل** يمتلك هوية ذاتية وفردية تميزه عن الآخرين ، وتستوجب ضرورة الاعتراف به كذات مستقلة سيكولوجيا واجتماعيا ومن تمت الاعتراف بحقوقه وواجباته ، وذلك لكي يتحمل مسؤوليته كاملة نحو سلوكاته ونحو المهام التي يقوم بها في علاقته مع الآخرين. ومعنى ذلك أن الوعي بالهوية الذاتية والفردية تلعب دورا مؤثرا في مجال الاندماج السيكوتربوي مع الآخرين.

إن القدرة على تدبير الطاقة المشاعرية والقدرة على الحضور الذاتي في هنا الآن **(l'ici maintenant)** والحفاظ على الحميمية الذاتية **(l'intimité intérieur)** تعتبر في هذا السياق مهارات معرفية وجدانية **(savoir être)** مؤثرة جدا، وهي بذلك لا تقل أهمية عن الكفاءة الاجتماعية والكفاءة الشخصية، يمكن الجزم هنا أن مهارات الهوية الفردية هي شرط تفاعلي ومدخل حقيقي (وفق هذا التصور) إلى اكتساب المهارات الاجتماعية والشخصية، فلا يمكن للفرد أن يتواصل باللغة والإدراك ، وبتكيف إزاء مختلف الوضعيات الاجتماعية إلخ ، دون حضوره الذاتي وواعيه بذاته كهوية ومدركا لها في نفس الوقت ، كهوية فردية مستقلة متفاعلة في آن واحد **فإذا كانت الشخصية (وفق هذا التصور) هي قناع متحول ومتبدل يوظف فيه الفرد مجموعة من الآليات التكيفية والسلوكية الخارجية حسب تغير المو اقف والوضعيات الاجتماعية من أجل أن يتأقلم ويتجاوب مع الآخرين إزاء وضعيات معينة، فإن الهوية الفردية هي مهارات ذاتية داخلية ، تتطور بموجب تطور الشخصية** وهي بذلك بمثابة الطاقة الذاتية والمعرفية الأولى حول الذات التي بدونها لا يستطيع الفرد أن يتواصل مع الآخرين ويكون معه علاقات اجتماعية ناجحة.

وبناء على ذلك يمكن القول ، إن اندماج الفرد في أي جماعة أو مؤسسة ، هو اندماج هوياتي وشخصي في نفس الوقت، **كهوية دينامية (مشخصنة) متطورة**. ومن هنا فإن الهوية تبنى باستمرار وتتوسع وهذا الاندماج هو اندماج شخصي هوياتي في آن واحد، أي أن الفرد بقدر ما يتوسع وعيه ويندمج في نفس الوقت ، يتوسع وعيه كفرد يمتلك شخصية تكيفية قابلة لأن ترى وتلاحظ من طرف الآخرين كسمات مزاجية وسلوك تجاوبي معين ، **ومن هنا تتداخل الهوية بالشخصية وتتكاملان في تطورهما التفاعلي ، وبالتالي فبقدر ما أن هناك مقاييس واختبارات سيكولوجية حول قياس سمات وطبائع الشخصية عند كل فرد وكذا مؤهلاته الفكرية والمعرفية والسلوكية إزاء وضعية مهنية أو اجتماعية أو تربوية معينة ، بقدر ما يمكن إبداع أيضا مقاييس واختبارات حول قياس خصائص ومكونات الهوية الفردية عند كل فرد. وبالتالي فإن مقاييس الشخصية هي مقاييس ضمنية غير مباشرة لمكونات و أبعاد الهوية الذاتية أو الفردية ولعل هذا ما يجعل بعض علماء النفس الاجتماعي(ج.ستاوتزل و ميز انوف نموذجا) يفضلون استخدام مصطلح الهوية الشخصية باعتبارهما مفهومين متداخلين .**

ومن هنا يمكن أن نستنتج بخصوص دلالة الشخصية والهوية في مجال اندماج مع الآخرين أن العلاقات الاجتماعية (في هذا السياق حسب رأينا) تعتبر في علم النفس الاجتماعي بمثابة الميدان الاختباري للشخصية والهوية ، في آن واحد ، فنجاح الفرد في العلاقات الاجتماعية يتوقف على طبيعة شخصته من حيث مدى قدرته على التكيف والتوافق مع الآخرين ومدى قدرته أيضا على تقبل شخصيات الآخرين، لكن في نفس الوقت تتوقف أيضا على خصوصياته الذاتية الهوياتية ككائن اجتماعي وفرد متميز متمكن من ذاته واع بها ومتمتع بحضوره الذاتي لأن سؤال من أنا ؟ (كعمق ذاتي) وكوجود ينكشف لذاته عبر سيرورات التحول والتطور ، هو هاجس حقيقي بالنسبة للفرد حينما يسعى إلى محاولة ادماج نفسه مع الآخرين داخل جماعات أو مجموعات مهنية أو ثقافية أو سياسية معينة إلخ، لذلك فإن العملية الاندماجية هي عملية نفسية اجتماعية تضع شخصية الفرد وهويته موضع مراجعة مستمرة وحركة دينامية صراعية ، جدلية تشكل لدى الفرد محور حيويته ونشاطه وتفاعلاته مع الآخرين ورهانات حقيقية دالة ومؤثرة في مدى نجاحه في تكوين وبناء علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين. إذ أن الفرد يبذل قصارى جهوده من أجل التعريف بذاته أي من

هو ؟ بالنسبة للآخرين كهويات فردية مختلفة ويظهر الأفراد من أجل هذا الهدف تكيفات وتصرفات وتوافقات وموازن قوى ، وتجاذبات بمعناه العلمي عند كورت لفين ، كل ذلك من أجل الدفاع عن هويتهم الفردية وعن صورهم الذاتية، التي هي ملتقى وسطي بين الشخصية والهوية الفردية بحيث تتعزز أو تضعف (هذه الصورة الذاتية) حسب تقويمات الآخرين للفرد ، إذ أن الفرد معرض باستمرار في تجاذباته التفاعلية لما يمكن أن يزعزع صورته الذاتية ، وهذا ما يجعل بعض علماء النفس يعتبرون **تقدير الذات** لدى الفرد يتوقف على مدى نيله احترام وتقديرات أصدقائه وزملائه وأقاربه أي علاقاته العامة مع الآخرين.

لذلك فإن العملية الاندماجية للأفراد داخل الجماعات والعلاقات المهنية والمؤسساتية .. إلخ، تقتضي ضرورة أخذ بعين الاعتبار معاير شخصية الفرد وهويته كمتغيرات وآليات سيكو اجتماعية معرفية مؤثرة ودالة في إمكانية إنجاح العلاقات الاجتماعية ، وإنجاح العملية الاندماجية للأفراد داخل مخلف الجماعات المهنية أو الثقافية أو السياسية .. إلخ.

4-2 التربية الاجتماعية والسيكولوجية وأهميتها في البناء الاجتماعي للفرد

مما لا شك فيه أن العملية الاندماجية بكل أبعادها وآلياتها التي تناولناها سابقا، هي عملية تعليمية تربوية تشتغل فيها مجموعة من الآليات السيكو معرفية اجتماعية بحيث أن هذه الآليات لا يمكنها أن تشتغل بدون تنشئة اجتماعية وتربوية إيجابية، فالفرد مما لا شك بقدر ما يتعلم كيف يندمج اجتماعيا وثقافيا فهو في نفس الوقت يتربى سواء بكيفية موجهة داخل الأسرة والمدرسة أو بكيفية تلقائية داخل المجتمع، وهو ينشأ بذلك ويترعرع وينمو نفسيا ومعرفيا واجتماعيا، من خلال استدخال قيم المجتمع عبر الأسرة أولا كأول خلية اجتماعية مؤسساتية، وفي سياق هذا البرمجة الاجتماعية الهادفة إلى صناعة الفرد اجتماعيا بناء على آليات إدماجية متعددة تكون لدى الفرد مجموعة من البنيات النمائية ذات أبعاد نفسية معرفية اجتماعية وتربوية، باعتبارها بنيات لا تتكون بمعزل عن التوجيه التربوي للأسرة وتأثير التنشئة الاجتماعية، لذلك بمكن القول هنا ، أن ما يسمى في التحليل النفسي الفرويدي **بتكوين البنيات النفسية كسببية causalité مفسرة لنشوء العصابات والذهانات هو تكوين يتم عبر مؤثرات تربوية سيكولوجية** (كما يرى فرويد في مجمل أبحاثه) ، ومعنى ذلك أن العصاب بكل أنواعه هو نتاج أخطاء وتعثرات في أساليب التربية الاجتماعية التي برمجت دماغ الفرد وجعله يفكر ويدرك ويرى الوقائع بكيفية مرضية، الشيء الذي أكسبه وفق نظرية الاشتغال المرضي للذهن آليات سيكومعرفية مرضية واكسبه وفق نظرية التحليل النفسي حتميات طفلية مرضية في بروز العصابات وأحيانا الذهانات ، ومعنى **ذلك أن البناء التربوي للفرد منذ طفولته هو أساس البناء السيكولوجي لشخصيته المستقبلية (36)** ، وبناء على ذلك فإن التربية الاجتماعية الإيجابية هي أحد الشروط الأساسية التي بإمكانها أن تجنب الطفل الوقوع في اكتساب البنيات المرضية سواء بمعناها النفسي كما يحددها فرويد أو بمعناها السلوكي التعليمي كما هي محددة عند السلوكيين، **إن المستقبل النفسي للطفل رهين بنوع التربية الأسرية التي تلقاها في تنشئته التربوية (37)**، وبالتالي فالطفل في نموه الاجتماعي، إما إنه يكون قد استدخل في ذهنه قيما تربوية إيجابية أو قيما تربوية سلبية تبرمج بها ذهنه واشتغلت بموجبها آلياته السيكواجتماعية وآلياته المعرفية، ذلك أن آلية الكبت بمعناه الفرويدي وكل ما يرتبط به من آليات نفسية كالتعويض والتبرير والاسقاط، والنكوص...(كآليات سيكومعرفية) قد اشتغلت من الناحية النفسية إما بكيفية سوية أو بكيفية مرضية. ومعنى ذلك أن الطفل يمكن أن تتسرب إليه

عوامل المرض النفسي عبر المؤثرات التربوية نتيجة سوء المعاملات التربوية أو الأخطاء في الإعداد التربوية، أو غياب التربية العلمية أو الإيجابية كل ذلك قد يؤدي إلى غرس دوافع المرض العصابي (كتفسير فرويدي) في نفسيته وبالتالي إلى تأثر الآليات الدماغية المعرفية من إدراك وذكاء وتحليل إلخ إلى التحجر العقلي ، مما ينتج عنه ضعف الذكاء أو القدرة على الفهم، كل ذلك بفعل عوامل المؤثرات البيئية والأسرية كعوامل ومتغيرات تربوية تمارس بشكل خفي. ولعل معظم أبحاث بياجي تؤكد أن التوجيه التربوي الأسري خلال مراحل النمو الطفلي يعتبر أساس تكون البنيات الذكائية الإيجابية، والعكس صحيح، فكل إهمال في تربية الطفل تربية سليمة معرفية واجتماعية من خلال تدريب عقله على حل ألغاز اللعب مثلا وتعليمه كيف يدمج نفسه ضمن وضعيات اجتماعية وبيئية معينة تساعد على نمو آليات تفكيره قد يؤدي ذلك (حسب بياجي كما هو مؤكد في كل نتائج أبحاثه حول نمو الطفل) إلى تراجع الذكاء المعرفي وتراجع نمو البنيات الرياضية والمعرفية لعقل الطفل. ومعنى ذلك أن الإنسان في نموه العام منذ الطفولة يكتسب الآليات والقدرات العقلية بشكل فطري طبيعي، غير أنه حسب بياجي قد تتطور هذه البنيات أو تتعثر وذلك بفعل نوع التربية المدرسية والأسرية والاجتماعية التي تلقاها الطفل في نموه. لذلك فإن الانفعالات السلبية أو الإيجابية أو التفكير الإيجابي أو السلبي هي كلها أيضا أشياء متعلمة بحيث تؤثر على دماغنا وتدفع الفرد إلى ترجمتها كسلوكيات اجتماعية، وهكذا ينشأ الطفل على أساس نوع التربية الانفعالية التي استدخلها في ذهنه. ومن هنا أهمية التربية الأسرية في تكوين انفعالاتنا إيجابا وسلبا منذ الطفولة الشيء الذي يؤثر على علمية تطورنا الاجتماعي والنفسي والتربوي واندماجنا داخل المجتمع.

خلاصة استنتاجية

إن العلاقات الاجتماعية وسيكولوجية إندماج الأفراد سيكولوجيا وتربويا واجتماعيا لا شك أنها تتم وفق آليات سيكومعرفية اجتماعية متعددة، بحيث لم نكشف في هذه المقال سوى عن بعض هذه الآليات، وهي تحتاج بذلك إلى أن نفهم آليات اشتغالها من الناحية السيكو معرفية والاجتماعية، من أجل ترشيدها وتدبيرها في ‘طار استراتيجية تربوية اجتماعية، وذلك باعتبار أن " **التربية (الاجتماعية) هي روح التنشئة الاجتماعية** " أو هي على الأصح بمثابة العملية الجوهرية الضمنية للتنشئة الاجتماعية ، فإذا كانت التنشئة الاجتماعية في نظرنا وكما يرى ذلك مجمل علماء النفس الاجتماعي تقوم بها كل المؤسسات الاجتماعية والثقافية والتعليمية والدينية، فإن التربية بهذا المعنى هي ذلك العمل الموجه والمقوم للسلوك الاجتماعي والمعدل لتعثراته وانزلاقه، ومعنى ذلك أنه إذا كانت التنشئة الاجتماعية هي عبارة عن مصنع أو معمل فإن التربية هي أدوات وعمل هذا المصنع، لكن هذه المقارنة لا تستقيم كليا في تحديد العلاقة بين التربية والتنشئة الاجتماعية، على اعتبار أن هناك أوجه وأشكال كثيرة داخل التنشئة الاجتماعية تتم بشكل عفوي كالتنشئة التي يقوم بها الحي أو الشارع ..إلخ بينما هناك وعي موجه فيما يخص التنشئة التي تقوم بها بشكل متوازي النوادي الثقافية والمدارس والمؤسسات التعليمية، التي تبرمج الأفراد بأدوات ومفاهيم وتصورات علمية ليست هي نفسها التربية الموجة بكيفية تلقائية، **ونعتقد أن العمل التربوي كعمل علمي واع به هو أساس بناء الفرد السوي، بحيث إذا تم إنجاح التربية الاجتماعية داخل أي مجتمع ، فلن نحتاج كثيرا في المستقبل إلى العلاج السيكولوجي ، لأن التربية بمعناه العام هي عملية بناء الأسس، وإذا تم إرساء الأسس بشكل سليم فلن تنهار البنايات المشيدة، ولن تصاب بانكسارات أو اهتزازات، وهو الأمر الذي ينطبق أيضا على الإعداد**

لتربوي الجيد للأفراد داخل المجتمع، بحيث كلما أعددنا وربيناهم على أسس تربوية اجتماعية سليمة كلما أمددناهم بالمناعة النفسية التي قد تقيهم من الوقوع في الأمراض النفسية والعصبية مستقبلا ، ذلك انحرافات السلوك الاجتماعي وصعوبة اندماج الأفراد وبنائهم علاقات اجتماعية ناجحة هو مؤشر على فشل التربية الاجتماعية أو غيابها، لذلك نحن في حاجة إلى تربية النشء وإعداده على أسس سيكولوجية علمية، لأن من شأن هذه التربية الاجتماعية أن تحد من تكون البنيات العصابية المرضية (والعقد النفسية)، في مرحلة الطفولة، ولعل سيجموند فرويد نفسه ألح على أهمية هذه التربية العلمية، وحذرنا في مجمل وصاياه وأبحاثه (كما هو معروف) على تفادي المعاملات السيئة للأطفال وأهمية رعايتهم وحمايتهم من العقد والعنف، لأن أخطاء التربية الطفلية هي التي تكون حسب فرويد البنيات العصابية المؤدية في تطورها إلى تكوين الشخصية العصابية في المرحلة الأولى للطفولة. فما أحوجنا إذن إلى تكوين مربين سيكولوجيين مؤهلين علميا، **(38)**وملمين بكل الآليات والمحددات السيكو معرفية اجتماعية المؤثرة سلبا وإيجابا على اندماج الأفراد وعلاقاتهم الاجتماعية ، ذلك أن العلاقات الاجتماعية هي بمثابة الميدان الاختباري للشخصية والهوية الفردية ولكل الآليات السيكو معرفية الاجتماعية التي تناولنا بعضها فقط في هذه المقالة، ذلك أن نجاح الفرد في العلاقات الاجتماعية يتوقف على طبيعة شخصيته، سواء من حيث مدى قدرته على التكيف مع المواقف الاجتماعية بشكل اندماجي متوازن أو سواء من حيث مدى قدرته أيضا على تدبير ذاته كهوية متميزة ومستقلة بشكل إيجابي مع الآخرين الذين هم أيضا يمتلكون هويات فردية مستقلة لكن تتوقف أيضا وفي نفس الوقت على خصوصياته الذاتية والهوياتية ككائن اجتماعي وفرد متميز يمتلك هوية فردية مستقلة متمكن من ذاته وواع بها ومتمتع بحضوره الذاتي **لأن سؤال من أنا ؟ (كعمق ذاتي)** وكموجود سيكولوجي حر ومستقل ينكشف للذات عبر سيرورات التحول والتفاعل والتطور، وهو هاجس حقيقي بالنسبة للفرد حينما يسعى باستمرار إلى محاولة إدماج نفسه مع الآخرين داخل جماعات أو مجموعات مهنية أو ثقافية أو سياسية معينة. لذلك فإن العملية الاندماجية هي عملية نفسية اجتماعية تضع شخصية الفرد وهويته موضع مراجعة مستمرة وحركة دينامية تفاعلية صراعية وتشتغل وقف آليات نفسية معرفية سلوكية متعددة يلجأ إليها الأفراد بكيفية شعورية ولاشعورية في خضم تفاعلهم مع بعضهم البعض. لذلك فإن العملية الإندماجية للأفراد داخل الجماعات والعلاقات المهنية والمؤسسات بصفة عامة تقتضي ضرورة أخذ بعين الاعتبار آلية شخصية الفرد وهويته كمتغيرات مؤثرة ودالة سيكولوجيا واجتماعيا إلى جانب الآليات السيكواجتماعية الأخرى في مجال الإندماج الاجتماعي والتربوي وبناء العلاقات مع الآخرين.

هوامش

(1) يعتبر مفهوم التجاذب الاجتماعي l'affinité sociale من المفاهيم الأساسية في علم النفس الاجتماعي، حيث يندمج في إطار نظريات التفاعل الاجتماعي ويعنى به عموما كترجمة أولية وضعية "التساكن والانصهار بين مجموعة أفراد" ضمن علاقات اجتماعية معينة داخل الجماعة أو المجموعات

(2) نظرية العلاقات الإنسانية تعتبر من أهم الإشكاليات في علم النفس الاجتماعي وهي تتميز عن مفهوم العلاقات الاجتماعية باعتبارها إطارا عقلانيا أوسع من مفهوم العلاقات الإنسانية. إذ يعنى بها التفاعل بين مجموعة من أفراد دون اشتراك القرب الحميمي التي تتسم بها العلاقات الاجتماعية ، على مستوى تعريفها من الناحية السيكولوجية (انظر على الخصوص كتاب، سيكولوجية العلاقات الإنسانية psychologie des relations humaines رايموند شابوي R.chappuis وقد ركزنا في هذه المقالة على العلاقات الاجتماعية أكثر نظرا لارتباطها الوثيق بموضوع بحثنا.

(3) Kurt Levin, psychologie dynamique, Paris , P.U.F, PP. 1972 . 133-139

(4) Raymond Boudon, la logique du social, Hachette, Paris 1979, P.13

(5) Ibid. P.13

(6) Jean Piaget, six études de psychologie, Editions Denoël, Paris. 1964, PP.15-45

(7) Ibid. , P.45

(8) Ibid., (Jean Piaget) PP. 15-45

(9) Abraham Maslow, Besoin fondamentaux motivation et personnalité, traduit de l'anglais (Etats-unis) par Laurence Nicola ieff Paris 2016, PP.64-65

(10) Ibid. (Abraham Maslow) PP.64-65

(11) الدكتور عباس محمود عوض ، علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1980، ص 53

(12) George G.Mead l'esprit, le soi, et la société, traduit de l'anglais par Laurence, E. Klein et G.Thibault, Paris, Presses universitaires de France, 1963, P.257

(13) Charles H. Cooley, Human nature and social orde New York, Charles Scriberus sons, 1902 édition en 1922, Copié de Guy Rocher,, introduction à la sociologie générale, Edition HMH, Ltéé 1968 P.P.142-143

(14) Ibid., P .143

(15) Daniel Golemein, l'intelligence émotionnelle comment transformer ses émotions en intelligence, Ed, Robert Laffont, Paris. 1997, PP.87-88

(16) Paul Watzlawich, le langage du changement, élément de communication, Edition du seuil, traduit par Jeanne Wiener, Remci, Paris, 1980. P.53

(17) Jean Stœtzel, la psychologie sociale, Flammarion, 1978, Printed un France PP.215-216

(18) Freud, introduction au narcissisme, copié de J.Maizaneuve, introduction à la psychosociologie Presses universitaires de France, 1970, P.170

(19) Ibid., J.Maizaneuve , PP.151-170

(20) Ibid. (J.Maizaneuve)PP.151-158

(21) Ibid., (J.Maizaneuve)P. 151-158

(22) Ibid.,(J.Maizaneuve) P. 151-158 (بخصوص رأي مسكوفيشي حول الاتجاهات)

(23) مصطفى حدية، قضايا في علم النفس الاجتماعي، مطبعة ربانيت، الرباط، 2005, ص، 82

(24) Guy Rocher, introduction à la sociologie, Op. cite, P.40

إن مصطلح الشخصية هو مصطلح مشتق من الكلمة persona اللاتينية ويعنى به القناع le masque ، وموضوع الشخصية هو موضوع كما هو معروف * أساس لسيكولوجية الشخصية ، ويعتبر كردون ألبورت Gordon Willard Allport من أكبر السيكولوجيين المهتمين بإشكالية الشخصية، إن الشخصية عند ألبورت واستلهاما من مفهوم القناع (persona) يبرز معانيها المتكاملة بوصفها **أولا:** «هي ما يعبر عن المظهر الخارجي للفرد l'apparence extérieure) de l'individu) ، **ثانيا:** تعبر عن الدور الذي يقوم به الفرد كفاعل **ثالثا** : (l'acteur qui joue ce rôle est une personne) أي أن الفاعل هنا هو ذلك الشخص الذي يلعب هذا الدور، **رابعا:** الشخصية تحمل معاني قيمة la personne a une valeur signification de valeur)» فهذه التعاريف المتكاملة لمفهوم الشخصية عند ألبورت هي ما يبرز حسب ج. استاوزل أن مفهوم الشخصية ما يزال يحمل ويحتفظ بمعنى القناع في الأدب الإغريقي القديم حيث كان يتظاهر به الفرد أمام الآخرين من خلال مظهره الخارجي وأداء أدواره المسرحية .. (أنظر كتاب J.Stoetzel , la psychologie sociale) . لذلك فان مفهوم الشخصية يختلف عن مفهوم الهوية الفردية سواء من حيث التعريف المصطلحي أو من حيث المحتوى السيكولوجي العلمي، فإذا كانت هنا أبحاث سيكولوجية حول الشخصية فهناك أبحاث سيكولوجية أيضا رغم قلتها حول الهوية الفردية، وهذا الأمر ما زال يفتح باب الاجتهاد العلمي للباحثين في مجال علم النفس الاجتماعي والإكلينيكي حول إشكالية الهوية الفردية.

(25) G.Mead, op, cite, P.37

(26) J. Piaget, le jugement moral chez l'enfant, Paris, la librairie, Félix AL Can, 1932, PP. 465-466

(27) Un résumé des principaux idées de K.Lewin, dans le volume de Roger Grodn Attitudes collectives et relations humaines, Paris, Presses universitaires de France, 1953, PP.56-90

(28) Rocher Guy, op, cite, P.40

(29) Ibid., (Rocher Guy) P.37

(30) Ibid., (Rocher Guy) P.37

(31) George Devereux, la renonciation à l'identité petite Bibliothèque, Payot, Paris, 2009, PP.22-23

(32) Ibid., (George Devereux) PP.22-24

(33) J.Marc Dutrenit, la compétence sociale, Edition l'harmattan, 1997, Paris, P. 87

(34) ibid. (J.Marc Dutrenit,) PP.87-88

(35) Gaston Mialaret, pédagogie générale P.U.F, 1991, PP.396-397

(36) Ibid. (Gaston Mialaret,) PP.396-397

(37) Ibid. (Gaston Mialaret,) P.397

(38) Ibid. (Gaston Mialaret,) P.397